الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: علوم اللغة العربية

الموضوع:

النحو العربي وتطوره في القرن الأول والثاني هجريين

إعداد الطالب (ة) :
جليلي زهيرة

إشراف:
د/ قريش أحمد

لجنة المناقشة		
أ.ت.ع	عبد الجليل مصطفاوي	**رئيسا**
أ.د	قريش أحمد	**مشرفا ومقررا**
أ.د.ة	موس لبنى	**مناقشا**

العام الجامعي: 1438-1439هـ/ 2016-2017م

فهرس الموضوعات

-الإهداء

-مقدمة

المدخل

-ماهية النحو العربي:.....01

-أهمية علم النحو:.....06

الفصل الأول: نشأة النحو العربي

-سبب وضع النحو.....11

-متى و أين كان وضعه؟.....21

-أصل النحو العربي:.....24

-واضعه 27

-أول ما وضع من النحو:.....34

-سبب تسميته نحوا:.....35

-من علماء القرن الأول والثاني هجري.....36

الفصل الثاني: تطور النحو العربي

-نشأة النحو و تدرجه.....55

-مرحلة الوضع و التكوين.....57

-طور النشوء و النمو.....61

-مشاهير علماء البصرة في المرحلة الثانية.....64

-أصول النحو العربي.....82

-الخاتمة.....93

-قائمة المصادر و المراجع.....94

الإهداء

إلى والدتي العزيزة حفظها الله و رعاها و إلى رفيق دربي فيصل

إلى والدي العزيز اطال الله في عمره

إلى اخي و اختي و زوجة اخي

إلى اعز صديقاتي: زينب، سمية، سهام، هجيرة، صباح، فاطمة، فاطمة،

فتيحة، و إلى كل من يعرفني.

مقدمة:

بسم الله الرحمان الرحيم و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين سيدنا و حبيبنا محمد صلى الله عليه و سلم أما بعد:

نشأت اللغة العربية في أحضان الجزيرة ، بعيدة عن كل ما يدنسها فغدت لغة الفصاحة و الصمود، فقد عزّها الله و أشاد بها حيث شرّفها بتنزيل القرآن بها **قال تعالى {إنّا أنزلناه قرآنا عربيّا}** [يوسف الآية 02] فصارت الأمة الإسلامية أبلغ الأمم فصاحة و أعزّها شأنا **قال الله تعالى: {و كنتم خير أمّة أُخرجت للنّاس}** [آل عمران الآية 11] و مع سطوع نور الإسلام و اتساع رقعته و دخول العجم فيه ، تباينت الألسنة و تسرّب اللحن إليهم ، فكان لزاما على العرب إيجاد حلّ للحفاظ على دينهم و قرأنهم من التحريف و الخطأ في النطق ، فهبّوا إلى وضع علم يصون لغتهم من الضياع و الفساد ، فوضعوا علم النحو للدفاع عن عقيدتهم و حضارتهم ، و قد اشتدّ التنافس بين العلماء لتحصيله و إحرازه لحاجتهم إليه فنشأ و تطوّر في القرنين الهجريين: الأوّل و الثاني، فهو يشكّل أهمّ الركائز التي تقوم عليها علوم اللغة العربية ،كونه يعتبر أبو العلوم و همزة وصل بينها . فقد سبق غيره في الوجود و نظرا لهذه المكانة التي تبوّأها النحو ، رأينا أنه لابدّ من الكشف عن خفايا هذا العلم لذلك آثرت أن يكون عنوان مذكّرتي "تطور النحو العربي في القرنين الأول و الثاني للهجرة"، لأ همته محاولة الكشف عن حقيقة النحو العربي. أمّا عن سبب اختياره ، فهو ميلي الشخصي لمعرفة أخبار النحو و النحاة.

- الكشف عن ملابسات ظهور و نشأة هذا العلم.
- رغبتي الشخصية في الخوض في غمار البحث في حقل الدراسات النحوية.

هذا عن الأسباب الذاتية بينما الأسباب الموضوعية، فتتمثل في:

- وفرة مصادر المعلومات الخاصة بهذا العلم

أمّا عن الأهداف التي سعينا إلى تحقيقها من خلال هذا البحث فهي كما يلي:

1 معرفة أهمية علم النحو و دوره في النهوض بالحركة العلمية.

2 معرفة مكانة علم النحو بين علوم اللغة العربية.

3 بيان دور النحو في صون اللسان العربي من أي خطأ أو لحن.

و لمعالجة و دراسة هذا الأمر لابد من الإجابة عن مجموعة من الأسئلة الخاصة بهذا العلم و تس ليط الضوء عليها و من أهمّها:

ما ماهية النحو العربي؟ و ما الأسباب الحقيقية وراء انبعاثه؟ و هل وضعه عربيّ محض؟ و أين ظهر و على يد من تأسس؟ و ما المراحل التي مرّ بها بعد أن كان صغيرا يعتمد على سليقة العرب إلى أن أصبح علما مستقلا بذاته له قواعده و قوانينه التي تضبطه؟ و ما هم أبرز علمائه الذين اتخذوا منه سبيلا للتحكم في اللغة و إبراز مجهوداتهم في هذا الحقل ؟ و ما أبرز انتاجاتهم في ميدان الدراسات النحوية؟ هي أسئلة حاولنا إيجاد إجابات وافية شافية لها بإذن الله، لذلك قسمنا بحثنا هذا إلى فصلين يسبقهما تمهيد موجز:

- التمهيد: يشمل على نبذة قصيرة عن ماهية النحو العربي و أهميته
- الفصل الأول: يدور الحديث فيه عن نشأة النحو العربي و قد تناولنا فيه المباحث التالية:

م1: سبب وضع النحو

م2: متى و أين كان وضعه؟

م3: أصل النحو العربي

م4: واضعه

م5: أول ما وضع من النحو

م6: سبب تسميته نحوا

م7: من أهم علماء القرن الأول و الثاني الهجريين

أما الفصل الثاني تناولنا فيه تطور النحو العربي و يشتمل على المباحث التالية:

م1: نشأة النحو و تطوره

م2: مرحلة الوضع و التكوين

م3: طور النشوء و النمو

م4: مشاهير علماء البصرة في المرحلة الثانية

- الخليل بن أحمد
- يوسف بن حبيب
- سيبويه
- الأخفش الأوسط

م5: أصول النحو العربي

و قد استدعى هذا الموضوع استخدام المناهج التي تتوافق مع هذا النوع من الدراسات هي المنهج الوصفي التحليلي والاستعانة بالمنهج التاريخي.

و كأي بحث واجهنا مجموعة من العراقيل و الصعوبات أهمها: ترتيب المادة و ذلك لو فرقها و كثرتها و من المصادر و المراجع التي اعتمدنا عليها:طبقات النحويين و اللغويين للزبيدي، بغية الوعاة للسيوطي و نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة لمحمد الطنطاوي.

و في الأخير نسأل الله تعالى أن يكون قد وفقنا في انجاز هذا البحث و أن ننفع بهذه الدراسة الجيل القادم من الباحثين و نكون خير خلف لخير سلف إن شاء الله و ذلك مرده إلى أستاذي المشرف

الأستاذ الدكتور قريش أحمد الذي أخذ بيدي لإنجاز هذه المذكرة لهذا أشكره جزيل الشكر على نصائحه و دعمه لي.

جليلي زهيرة

تلمسان يوم:2017/04/30

مدخل

للنحو مكانة مهمة بين علوم اللغة، و نظرا لهذه الأهمية، رأينا أنه من الأجدر أن نقدم صورة واضحة المعالم، فأي علم إلا و يحتاج إلى تعريف يسهل علينا عملية التوغل فيه و دراسته و الكشف عن جنباته، "و يؤثر عن أرسطو أنه كان يقضي نصف وقته في تعريف مصطلحاته، فإذا فرغ من هذا استشعر بأنه قد حل المسألة التي يبحث فيها"[1].

فما هي ماهية النحو العربي؟ و ما أهميته؟

1/ ماهية النحو العربي:

النحو لغة:

جاء في لسان العرب: "نحا: الأزهري: ثبت عن أهل يونان، فيما يذكر المترجمون العارفون بلسانهم و لغتهم، أنهم يسمون علم الألفاظ و العناية بالبحث عنه نحوا، و يقولون كان فلان من النحويين، و لذلك سمِّي يوحنّا الإسْكِنْدرانيُّ يحي النحوي للذي كان حصل له من معرفة بلغة اليونانيين، و النحو: القصد و الطريق، يكون ظرفا، و يكون إسما، نحاه ينحوه و ينحاه نحوا و انتحاهو نحو العربية منه، التهذيب: و بلغنا أن أبا الأسود الدؤلي وضع وجوه العربية و قال للناس انحوا نحوه قسمي نحوا، ابن السكيت: نحا نحوه إذا قصده، و نحا الشيء ينحاه و ينحوه إذا حرفه و منه سمي النحوي لأنه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب، ابن يزبح: نحوت الشيء أَنْحُتُهُ أنحو: و أنحاه و نحيت الشيء و[2] نحوته"[3].

---

[1] النحو العربي عماد اللغة و الدين، عبد الله أحمد جاد الكريم، القاهرة، مكتبة الآداء، ط1، 1422 هـ، 2002: 23.

[2] قوله: "و نحيت الشيء" كذا في الأصل مضبوطا و في التهذيب: نحيت عن الشيء، بشد الحاء و زيادة عن

[3] لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار صادر، ط4، 2005، مجلد الرابع عشر: 214.

و جاء في القاموس المحيط: "والنحو: الطريق، و الجهة، و الانتحاء: اعتماد الإبل في سيرها على أيسرها، و انتحى جد، و في الشيء اعتمد".[1]

النحو اصطلاحا:

أما اصطلاحا فقد عرفه ابن جني بقوله :

"هو انتحاء سمت[2] كلام العرب في تصرفه من إعراب و غيره، كالتثنية و الجمع و التكسير و الإضافة و النسب و التركيب و غير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها، و إن لم يكن منهم و إن شذ بعضهم عنها رد به إليها و هو في الأصل مصدر شائع أي نحوت نحوا، كقولك: قصدت قصدا، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم كما أن الفقه في الأصل مصدر فقهت الشيء أي: عرفته، ثم خص به على الشريعة من التحليل و التحريم، و كما أن بيت الله خص به الكعبة، و إن كانت البيوت كلها لله، و له نظائر في قصر ما كان شائعا في جنسه على أحد أنواعه، و قد استعمله العرب ظرفا، و أصله المصدر".[1]

و أنشد أبو الحسن

تَرْمِي الأَمَاعيزَ بِمُجمرَاتِ بِأرجُـل رُوحِ مُــجَـنـَّبَاتِ

يَحدو بِهَا كُلُّ فتى هَيّاتِ و هُنَّ نَحْـو البَيْتِ عَامِدَاتِ[3]

و يعرفه الجرجاني بقوله: "هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب و البناء و غيرها، و قيل: النحو: علم يعرف به أحوال الكلم من حيث الإعلال، و قيل: علم بأصول يعرف بها صحة الكلام و فساده"[1]

---

[1] القاموس المحيط، الفيروز أبادي (ت817هـ)، بيروت، مكتبة التربية، ط1952م: 396/4 (باب الواو فصل النون)

[2] سمت: أي الطريق، محيط المحيط، بطرس البستاني، مكتبة لبنان، 1403هـ 1983 (مادة س م ت)

[1] الخصائص ابن جني، تح محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة و النشر، ط2: 34/1

[3] لسان العرب، ابن منظور: 214 (مادة نحا).

و يبدوا أن نحو ابن جني [2]و ابن منظور [3]يحمل المعنى القديم الذي يشتمل على الإعراب الذي هو أثر يتركه العامل في أواخر الكلمات، و يتغير بتغير العامل، و الصدق الذي يتناول بنية الكلمة كالتصغير و التكسير و النسب و غير ذلك من موضوعات علم التصريف.[4]

و من أهم التعريفات لهذا العلم كذلك:

"هو علم منتزع من استقراء هذه اللغة[5]، و هو العلم الذي يهدف إلى ضبط الملكة اللسانية بالقوانين المستقرأة: كما يرى ابن خلدون [6]، فالنحو علم قياسي، و مسبار لأكثر العلوم لا يقبل إلا ببراهين و حجج[7] و يرى ابن عصفور أنه "علم استخرجه المتقدمون من استقراء كلام العرب"[8]

و هذا العلم بالألفاظ لم يتصالح عليه العرب الأوائل و لا نحاتهم بهذا الاصطلاح و لم يدر اصطلاح النحو بينهم في مناقشاتهم و محاوراتهم و لكنهم يعبرون عنه باصطلاحات أخرى، هذه الاصطلاحات هي[9]:

أولا: العربية

فعن أبي مسلم الخولاني (ت 62هـ)قال: قال عمر بن الخطّاب: "تعلّموا العربية، فإنها تثبت العقل، و تزيد من المروءة"[1] و قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: "أخذ أبو الأسود عن علي بن أبي طالب عليه

---

[1] التعريفات، الجرجاني، وضع حواشيه و فهارسه محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية،ط2، 1421هـ-2000م: 236 (باب النون)

[2] هو عثمان ابن جني، كنيته أبو الفتح، كان أحذق أهل الأدب و أعلمهم بالنحو و التصريف، من مصنفاته: الخصائص في النحو، سر صناعة الإعراب و شرح الفصيح، و هو نحوي بغدادي، ولد قبل الثلاثين و ثلاثمئة، و توفي في سنة 392، بغية الوعاة، السيوطي:132/2

[3] هو محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، صاحب (لسان العرب): كان إماما لغويا، ولد بمصر، و خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة ثم ولي القضاء في طرابلس، و ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، توفي سنة: 711هـ-1311م

[4] شرح الأشموني، الأشموني، بيروت، دار الكتاب العربي، (د.ط) 1375هـ - 1955م: 779/3

[5] الخصائص، ابن جني،تح محمد علي النجار – القاهرة، دار الكتب المصرية، 1371هـ - 1952م: 34/1

[6] مقدمة، ابن خلدون، تح علي عبد الواحد راني، القاهرة، دار الشعب، ط1، 1962م: 1367/4

[7] الإيضاح في علل النحو، الزجاجي، تح مازن المبارك، بيروت، دار النقاش ط3، 1979:41

[8] المقرب، ابن عصفور، بغداد، طبعة العاني: 45/1.

[9] المصطلح النحو نشأته و تطوره من أواخر القرن الثالث للهجري، عوض محمد القوزي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط01، 1401هـ-1981م :08

عليه السلام العربية..."[2] و عن عاصم (ت 128هـ) قال: جاء أبو الأسود الدؤلي إلى عبيد الله بن زياد يستأذنه في أن يضع العربية فأبى..." [3] و عنه أيضا قال: "أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي"[4]

و من إطلاق لفظ (العربية) و هم يريدون اصطلاح (النحو) قول أبي النضر: "كان عبد الرحمان بن هرمز أول من وضع العربية"[5] فالعربية الواردة في الأقوال السابقة إنما تعني النحو

ثانيا: الكلام

و هو ثاني الاصطلاحات المكبرة لهذا العلم، قال أبو الأسود عندما سمع اللحن في كلام بعض الموالي: "هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام و دخلوا فيه فصاروا لنا إخوة فلو علمناهم الكلام".[6]

ثالثا: اللحن

و هذا المصطلح نجده في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه و هو يحث على تعلم النافع من العلوم إذ يقول: "تعلموا الفرائض و السنن و اللحن كما تتعلموا القرآن" [7] قال أبو بكر الأنباري: و حدث يزيد بن هارون بهذا الحديث فقيل له: ما اللحن؟ فقال: النحو.[8]

و قد توسع معنى اللحن حتى أصبح يدل على أكثر من معنى تضمنتها المعاجم العربية، و قد جمع ابن بري هذه المعاني في قوله: "اللحن ستة معان، الخطأ في الإعراب، و اللغة، و الغناء، و اللفظ، و الفطنة، و التعريض، و المعنى".[9]

---

[1] طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، مصدر دار المعارف، 1392هـ-1973م: 13

[2] أخبار النحويين و البصريين السيرافي عني بنشره و تهذيبه فرنتس كرنكو، 1353هـ-1936، 15

[3] نفسه: 17

[4] نفسه: 17

[5] السابق:22

[6] السابق:18

[7] طبقات النحويين و اللغويين، السيرافي: 13

[8] إيضاح الوقف و الابتداء في كتاب الله عز و جل، ابن الأنباري، تح محي الدين عبد الرحمان رمضان، دمشق، 1390هـ/1971م،:1/15-16 و الأضداد، الأنباري، تح محمد أبو الفضل إبراهيم الكويت، دائرة المطبوعات و النشر 1380هـ-1960م،:240

[9] لسان العرب، ابن منظور.

رابعا: الإعراب

و هو أحد الاصطلاحات التي كانت شائعة في القرن الأول للهجرة، فقد ذكر السيوطي رواية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه استعمل كلمة (الإعراب) بمعنى النحو عندما قال: "وليعلم أبو الأسود أهل البصرة الإعراب"[1] أي فليعلمهم انتحاء سبيل العرب في الكلام و الإبانة[2].

خامسا: المجاز

و هو من الاصطلاحات الأولى التي جاءت بمعنى (النحو)، و يقصد به أيضا طريق العرب في التعبير و هو اصطلاح فيه شيء من الشمول لعلم العربية فهو لا يقف عند العناية بأواخر الكلم إعرابا و بناء بل يتناول طرائف القول و يبين ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة، و نظام الجمل بعضها مع بعض حتى تؤدي المعاني من المتكلم إلى السامع [3]روى الأزهري عن أبي عبيدة عن الأصمعي: جزت الموضع سدت فيه، و منه قول امرئ القيس:[4]

فلمّا أجزنا ساحة الحيّ و انتحَى بنَا بطنُ خبتٍ ذِي حقافٍ عَقَنقَلِ

قال أبو زيد: "و معنى أجزنا: قطعنا و سرنا فيه" [5] و قال الأصمعي: "أجزنا: قطعنا، يقال: أجزت الوادي، إذا قطعته و خلفته و جوته و سرت فيه.[6]

سارت هذه الاصطلاحات (العربية، الكلام، اللحن، الإعراب، المجاز) جنبا إلى جنب عند نحاة القرن الأول، و أوائل القرن الثاني للهجرة، الذين لم يؤثر عنهم استعمال اصطلاح (النحو) و هو أمر طبيعي، لأن النحو نشأ نشأة فطرية، فكانت ظواهره الأولى ترصد من قبل العلماء و تخضع

---

[1] التحفة البهية و الطرفة الشهية، السيوطي، القسطنطينية، مطبعة الجوائب، 1302هـ-1882م:49

[2] المصطلح النحوي، عوض محمد القوزي: 14

[3] نفسه:15

[4] شرح ديوان امرئ القيس، حسن السندوبي، القاهرة ط4، 1378هـ-1959م:149

[5] جمهرة أشعار العرب في الجاهلية و الاسلام، القرشي، تح محمد علي البجاوي، القاهرة، ط1، 1387هـ-1967: 143/1

[6] شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ابن الأنباري، تح عبد السلام محمد هارون، مصر، دار المعارف، ط2، 1369هـ/199.

لملاحظاتهم، فقام النحو فنا قبل أن يكون علما، و أخذت تلك الظواهر اللغوية تبرز شيئا فشيئا إلى أن لقينا مصطلح "النحو" عند عبد الله بن أبي إسحاق الخضرمي (ت117هـ)[1]

أهمية علم النحو:

علم النحو العربي من العلوم التي سبقت علوم اللغو العربية للدفاع عن القرآن الكريم و صونه من أي خطأ أو تحريف، فهو يشكل عاملا أساسيا في فهم المعنى و الوقوف على دلالة النصوص هذا ما جعل العلماء يجمعون على أهميته و قيمته في تفسير كلام الله عز و جل، الذي أشاد به من شأنه فنزل القرآن بلسان عربي مبين، قال الله تعالى: {إنا أنزلناه قرآنا عربيا} [2]، و قد أشار إلى ذلك جمع كبير من المفسرين، قال مكي بن أبي طالب [3] "رأيت من أعظم ما يجب علم الطالب لعلوم القرآن، الراغب في تجويد ألفاظه و فهم معانيه، و معرفة قراءاته و لغاته... و أفضل ما لقارئ محتاج إلى معرفة إعرابه...ليكون بذلك سالما من اللحن فيه، مستعينا على أحكام اللفظ به، مطلعا على المعاني التي قد تختلف باختلاف الحركات، متفهما لما أراد الله به من عباده، إذ بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني فتظهر الفوائد و يفهم الخطاب و يصح معرفة حقيقة المراد".[4]

و عن علم النحو يقول ثعلب (ت 291هـ): "تعلموا النحو فإنه أعلى المراتب" [5]و يؤكد عبد القاهر الجرجاني إمام البلاغيين على أهمية النحو قائلا: لا يجيدون جدا من أن يعترفوا بالحاجة إلى النحو...، و أن من ينكره ينكر حسه، و يكون مخالطا في الحقائق نفسه...، و لذا لم نأب صحة

---

[1] ينظر: المصطلح النحوي، عوض محمد القوزي: 17

[2] سورة يوسف الآية: 02

[3] هو حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي أبو محمد مقري – كان عالما بالتفسير و العربية، ولد في القيروان، و طاف في بلاد المشرق من مؤلفاته: مشكل إعراب القرآن و الهداية لبلوغ النهاية توفي سنة 427هـ/1045م، الزر علي، الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، ط3، 1409/1989هـ:286/8

[4] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل شامي، دار الحضارة و مؤسسة عز الدين للطباعة و النشر، 1997م 1418هـ:14.

[5] مجالس ثعلب، تح عبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، 1369هـ: 310/1

هذا العلم و لم ننكر مكان الحاجة إليه في معرفة كتاب الله" [1]و النحو كذلك ضروري في معرفة علوم العرب الأخرى، ذلك لأنه "لابد لمن شرح الله صدره لتناول العلم من آلة يستعين بها في موارده و مصادره، و راحلة تصلح لقطع بدوره و حاضره و ذلك معرفة الإعراب الذي يبين به الخطأ من الصواب، و يفهم به كلام الله، و أحكام سنن رسوله".[2]

و عنه يقول أحد الشعراء:

ثم الكلام بلا نحو لمستمع مثل الطعام بلا ملح لمن أكلا[3]

و لكن عبد القاهر الجرجاني أثبت قصور معنى البيت السابق، لأنه لا يتصور أحد بحال من الأحوال أن أحكام النحو يمكن أن تزيد في الكلام كما تزيد أجزاء الملح في الطعام، لأن جريان الكلام على أحكام النحو يجعله صحيحا، و يبعده عنه و يجعله فاسدا، و ليس بين هاتين واسطة، فالكلام إما صحيح لجريانه على عرف اللغة في الترتيب الخاص الذي يتبعه الإعراب، و إما فاسد لعدم اتباعه أحكام النحو و قيمه..."[4]

و عبر ابن هشام الأنصاري[5] عن أهمية النحو الذي هو الإعراب نفسه بقوله: "ذلك علم الإعراب الهادي إلى صوب الصواب"[6]

و تتجلى أهمية النحو في نظر ابن خلدون في كونه يصون القرآن الكريم، و الحديث النبوي الشريف من انغلاقهما على المفهوم من خلال صون اللغة العربية و حمايتها من اللحن الذي أصاب اللسان

---

[1] ينظر دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة1977 و بيروت دار المعرفة 1987، تح محمود شاكر، طبعة الخانجي القاهرة، 1984 :26.

[2] اللؤلؤة في علم العربية، اليوسف السرمدي، تح أمين عبد الله سالم، القاهرة، مطبعة الأمانة، 1992:15.

[3] النحو العربي عماد اللغة و الدين، عبد الله أحمد جاد الكريم، القاهرة، مكتبة الأداب، ط1، 1422هـ/2002م:26

[4] الإيضاح في علل النحو الزجاجي: 41.

[5] هو محمد عبد الله بن هشام جمال الدين الأنصاري المصري كان أوحد عصره في تحقيق النحو من مؤلفاته: مغني اللبيب، توفي سنة 761هـ/1360م، ينظر مقدمة المغني.

[6] المغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، بيروت، دار الفكر1400هـ-1979م و النسخة الثانية من منشورات المكتبة العصرية صيدا، بيروت، تح محمد محي الدين عبد الحميد، 1407هـ/1987م:9/01.

العربي، بعد أن ترك الإسلام الحجاز لمطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم و الدول، و بعد أن خالط العرب العجم،ما أدى إلى فساد ملكتهم التي كانت تمثل أحسن الملكات و أوضحها إبانة عن المقاصد، و ذلك بما ألقى إليها السمع من المخالفات للمتعربين من العجم[1]

أما السيوطي[2]، فقد جعل الإعراب المكسر لمعاني التركيب حين يقول: "و أول ما تجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة فيتكلم عليها من جهة "اللغة"، ثم

التعريف، ثم الاشتقاق، ثم يتكلم عليها بحسب التركيب، فيبدأ بالإعراب، ثم ما يتعلق بالمعاني، ثم البيان، ثم البديع، ثم يبين المعنى المراد، ثم الاستنباط، ثم الإشارات"[3]

غير أن الزجاجي كان قد سبق هؤلاء العلماء إلى إيضاح الهدف من تعلم النحو و الإفادة منه خلال استيعابه وظيفة هذا العلم استيعابا متكاملا إذ تقوم هذه الوظيفة على تقويم كتاب الله علا شأنه أي: الوقوف على قيمته العظيمة و تهدف أيضا إلى معرفة الحديث النبوي الشريف، إذ لا يتمكن لامرئ معرفة بيان القرآن الكريم وحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم إلا من خلال معرفة النحو كذلك لا يمكنه إدراك لغة العرب على الحقيقة ما لم يقف على حقيقة قواعد هذه اللغة[4]

و في ذلك يقول الزجاجي: "الفائدة فيه الوصول إلى التكلم بكلام العرب على الحقيقة صوابا غير مبدل و لا مغير و تقويم كتاب الله عز و جل، الذي هو أصل الدين و الدنيا و المعتمد، و معرفة أخبار النبي صلى الله عليه و سلم، إقامة معانيها على الحقيقة، لأنه لا تفهم معانيها على صحة إلا

---

[1] مقدمة ابن خلدون: 55-1 و ما بعدها.

[2] هو عبد الرحمان ابن أبي بكر السيوطي جلال الدين، كان حافظا مؤلفا و أديبا له حوالي ستمائة مصنف، اعتزل الناس في الأربعين، و خلا بنفسه على النيل منزويا عن أصحابه جميعا، كأنه لا يعرف أحدا منهم فألف معظم كتبه، و كان الأغنياء و الأمراء يزورونه و يعرضون عليه الهدايا فيرفضها، و طلبه السلطان مرارا فلم يحظر إليه الاعلام الزر علي: 301/3.

[3] الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، القاهرة،دط، دت: 228-227/2

[4] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره أحمد جميل الشامي:15

بتوقيتها حقوقها من الإعراب، و هذا ما لا يدفعه أحد ممن نظر في أحاديثه صلى الله عليه و سلم و كلامه، و قد قال الله عز و جل في وصف كتابه {إنا أنزلناه قرآنا عربيا..غير ذي عوج}[1]

و من هنا تفهم أن النحو هو العلم الذي يبين الكلام الصحيح من فاسده و من خلاله نستطيع قراءة القرآن قراءة صحيحة سليمة، نفهم منها معانيه و نستخرج تعاليمه و أحكامه و نتلذذ بحلاوة وضع واضعه فمن أدرك النحو أدرك كلام الله عز و جل و فهم مقاصده و قيمه و علومه و إعجازه.

[1] الإيضاح في علل النحو، الزجاجي:35

المبحث الأول: سبب وضع النحو

يمكن أن نرد أسباب وضع النحو العربي إلى بواعث مختلفة، منها الديني و منها غير الديني، أما البواعث الدينية فترجع إلى الحرص الشديد على أداء نصوص الذكر الحكيم أداء فصيحا سليما إلى أبعد حدود الفصاحة و السلامة و خاصة بعد أن أخذ اللحن يشيع على الألسنة، و كان قد أخذ في الظهور منذ حياة الرسول صلى الله عليه و سلم [1]، قال أبو الطيب: "و اعلم أن أول ما اختل من كلام العرب و أحوج إلى التعلم: الإعراب، لأن اللحن ظهر في كلام الموالي و المتعربين من عهد النبي صلى الله عليه و سلم، فقد روينا أن رجلا لحن بحضرته فقال:"أرشدوا أخاكم فقد ظل"و قال أبوا بكر لأن أقرأ فأسقط أحب إلي من أن أقرأ فألحن" [2]

و قال ياقوت: و مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قوم يسيئون الرمي فقرءهم، فقالوا: إنا قوم"متعلمين"فأعرض مغضبا و قال: و الله لخطأكم في لسانكم أشد علي من خطئكم في رميكم" [3]

و قال بن جني: "و رووا أيضا أن أحد ولاة عمر رضي الله عنه كتب إليه كتابا يلحن فيه، فكتب إليه عمر أن قنع كتابك سوطا" [4] و قال ابن قتيبة: "سمع أعرابي مؤذنا يقول أشهد أن محمدا

---

[1] المدارس النحوية، شوقي ضيف–مصر، دار المعارف، ط2، 11

[2] ينظر: مراتب النحويين: أبو الطيب اللغوي (ت351ه) مخطوط بالخزانة التيموريه رقم1025 و نقل هذا السيوطي في المزهر أوائل النحو الرابع و الأربعين، و الحديث الشريف مذكور في الخصائص (باب ترك الأخذ عن أهل المدر الخ). 108/1، و معجم الأدباء (الفصل الاول فصل الادب)، ياقوت الحمري (ت626ه 82/1، و الاثر المذكور نسب في معجم الأدباء الموطن السالف للشعبي

[3] الموضع السابق في المعجم

[4] ينظر: الخصائص، ابن جني (ت392ه)، المبحث السابق، و قد ذكر النحاة و المؤرخون هذا الأمر مع تغيير في بعض الكلمات و مع تعيين الوالي و هو أبو موسى الأسعري إذ كان واليه بالبصرة. و تعيين اللاحن و هو أبو الحصين بن أبي الحر العنبري كما في ترجمة يزيد بن معرغ الحميري في وفيات الأعيان، و تعيين اللحن و هو قول الكاتب: من أبو موسى الأسعري. ينظر باب الاستثناء في المفصل و شرحه الزمخشري و في شرح شواهد الرص على الكافية، البغدادي (ت 1093ه)، و في معجم الأدباء، ياقوت الحمري: 80/1 حادثة أخرى تماثل هذه استشخص عمر فيها العامل و ضربه بالدرة .

رسول الله ينصب رسول فقال: و يحك! يفعل ماذا؟... و دخل أعرابي السوق فسمعهم يلحنون فقال سبحان الله!يلحنون و يربحون، و نحن لا نلحن و لا نربح"([1])

و قال ابن عبد ربه: "و دخل على الوليد بن عبد الملك رجل من أشراف قريش فقال له الوليد: من ختنك؟ قال له: فلان يهودي، فقال: ماذا تقول؟ ويحك! قال: لعلك إنما تسأل عن ختني يا أمير المؤمنين هو فلان بن فلان".[2]

و هكذا انتشرت جرثومة اللحن، فأعدت الخاصة حتى صاروا يعدّون من لا يلحن، قال الأصمعي: "أربعة لم يلحنوا في جدّ و لا هزل: الشعبي و عبد الملك بن مروان، و الحجّاج بن يوسف و ابن القرية،و الحجاج أفصحهم"[3]

غير أن اللحن في صدر الإسلام كان لا يزال قليلا بل نادرا، و كلّما تقدمنا منحدرين مع الزمن اتّسع شيوعه على الألسنة و خاصة بعد تعرب الشعوب المغلوبة التي كانت تحتفظ ألسنتها بكثير من عاداتها اللغوية، مما فسح للتحريف في عربيتهم التي كانوا ينطقون بها، كما فسح للحن و شيوعه. و نفس نازلة العرب في الأمصار الإسلامية أخذت سلائقهم تضعف لبعدهم عن ينابيع اللغة الفصيحة، حتى عند بلغائهم و خطبائهم المفوهين، و يكفي أن يضرب مثلا لذلك ما يروى عن الحجاج من أنه سأل يحي بن يَعمُر هل يلحن فيه بعض نطقه؟و سؤاله ذاته يدل على ما استقر في نفسه من أن اللحن أصبح بلاءا عاما، و صارحه يحي بأنه يلحن في حرف من القرآن الكريم إذ كان

[1] ينظر، عيون الأخبار ابن قتيبة (ت 276 هـ)، (كتاب العلم و البيان: الإعراب و اللحن): 158/2 و ما بعدها، و الحادثة الثانية مذكورة أيضا في المعجم في الموضع السابق.

[2] ينظر: نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، دار المعارف، ط2: 17.

[3] نفسه:17

يقرأ قوله عز و جل[1]: {**قُل إن كان آباؤكُم و أبناؤكُم**} [2]إلى قوله تعالى: {**أَحَبَّ**} بضم أحبُّ و الوجه أن تقرأ بالنصب خبرا لكان لا بالرفع. [3]

نرى من هذه الرواية أن اللحن تغلب على الحجاج الفصيح الذي يقال عنه: إن الرجل إذا أراد أن يفلت من عمل الحجاج عاذ باللحن فنجا، فقد روى أن الحجاج بعث إلى والي البصرة: أن اختر لي عشرة ممن عندك، فاختار رجالا منهم رجل اسمه كثير، و كان رجلا عربيا فصيحا، قال كثير فقلت في نفسي: لا أفلت من الحجاج إلا باللحن، فلما دخلنا عليه دعاني فقال: ما اسمك ؟ قلت: كثير، قال ابن من؟ فقلت ابن أبا كثير، فقال عليك لعنة الله و على من بعث بك، جثوا في قفاه، فأخرجت. [4]

و إذا كان الحجاج و هو في الذروة من الخطابة و البيان و الفصاحة و البلاغة يلحن في حرف من القرآن، فمن وراءه من العرب نازلة المدن الذين لا يرقون إلى منزلته البيانية كان لحنهم أكثر. [5] و ازداد اللحن فشوا و انتشارا على ألسنة أبنائهم الذين لم ينشاؤا في البادية مثلهم و لا تغذوا من ينابيعها الفصيحة، إنما نشأوا في الحاضرة و اختلطوا بالأعاجم اختلاطا أدخل الضيم و الوهن على ألسنتهم و فصاحتهم على نحو ما هو معروف عن الوليد بن عبد الملك، و كثرة ما كان يجري على لسانه من لحن. [6] و كان كثيرون من أبناء العرب ولدو الأمهات أجنبيات أو أعجميات، فكانوا يتأثرون بهن في نطقهن لبعض الحروف و في تعبيرهن ببعض الأساليب الأعجمية. [7] و كل ذلك

[1] المدارس النحوية، شوقي ضيف:11، 12

[2] التوبة: الآية24

[3] ينظر: طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي، تح محمد أبو الفضل ابراهيم القاهرة، دار المعارف، 1975م: 22.

[4] ينظر: إرشاد الأريب، ياقوت الحموي، دار المأمون، 1938م: 87/1 .

[5] المدارس النحوية، شوقي ضيف: 12.

[6] المرجع نفسه : 12

[7] المرجع نفسه: 12

جعل الحاجة تمس في وضوح إلى وضع رسول يعرف بها الصواب من الخطأ في الكلام خشية دخول اللحن و شيوعه في تلاوة آيات الذكر الحكيم. [1]

و لذلك لجأ العرب لمعالجة هذا الأمر، حتى يأمنوا أي لبس قد يأتي من تلك الناحية و ما دفعهم لذلك هو "حرص العرب المسلمين حرصا شديدا على آداء نصوص الذكر الحكيم آداءا فصيحا سليما إلى أبعد حدود الفصاحة و السلامة، و خاصة بعد أن أخذ اللحن يشيع على الألسنة، و تطرق ذلك إلى قراءتهم للقرآن الكريم" [2]، هذا فضلا عن أن جميع الروايات تجزم بأن نشأة النحو لم تكن إلا لتحقيق هدفين:

أولهما: الحفاظ على القرآن الكريم من اللحن و الفساد

ثانيهما: الخوف على العربية عموما من الخلطة و العجمة [3]

و لقد كان و لا يزال القرآن الكريم محور الدراسات الثقافية عند العرب،و لقد دفع العامل الديني العرب إلى حفظ القرآن الكريم[4]، لصونه من أي شبهة تلحقه، فالحقيقة التي لا خفاء فيها و لا لبس لبس أن النحو قد اجتمعت له أسباب الحياة و النمو و زخر ثم فاض و استبحر، حتى ملأ الحواضر و الأمصار، و ذلك بسبب عامل الدين. [5]

و من أجل ذلك فكر أهل العلم في وضع ضوابط يستعين بها المعربون على ألا يرتكبوا شيئا من اللحن، و ارتكاب اللحن هجنة و عيب للعالم بله الجاهل، و العربي بله المولى، و ذلك لأن شيئا منهم عرض لجمهرة المسلمين عربا و غير عرب، و هم يتلون القرآن و المسلمون جد حراص على ألا يحدث شيء من هذا، لقد كانت العربية لغة التنزيل العزيز و لغة السنة النبوية الشريفة، فليس من

[1] المرجع السابق: 12

[2] نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة، الطنطاوي، القاهرة،-طبعة دار المنار- 1991م: 08

[3] النحو العربي عماد اللغة و الدين، عبد الله أحمد جاد الكريم،-القاهرة، مكتبة الأداب، ط1، 2002م:32.

[4] ينظر: الأصول تمام حسان، ط الهيئة العامة المصرية للكتاب-القاهرة سنة 1982م: 23-25.

[5] النحو العربي عماد اللغة و الدين، عبد الله أحمد جاد الكريم: 32.

المقبول أن يعرض لهذه اللغة الشريفة–شيء مما يقدح فيها من اللحن الذي بدأ يشيع. و إذا كانت العربية قد شرفت بهذه المنزلة العلية، فهي كلام الله و كلام نبيه، و هي المروءة الظاهرة [1]، فحري بالمسلمين أن يعملوا على صونها و إبعادها عن غائلة اللحن [2]و مع العودة إلى تاريخ الصدر الأول نلاحظ أن القرآن حمل عن الرسول صلى الله عليه و سلم، مشافهة أولا، مع تعليقه على "الرقاع" بواسطة كتبة الوحي، الذين اتخذهم النبي صلى الله عليه و سلم لذلك [3]"و كان النبي صلى الله عليه و سلم سيد الحفاظ و أول الجماع" [4]و اشتهر بتلاوته عليه و إقرائه للناس قراء مشهورون كان على رأسهم علي، عثمان[5] في محاولة منه تعليم الناس أحكام الإسلام بتعليمهم تلاوة آي الذكر الحكيم حيث تجبهنا أول إشارة من النبي صلى الله عليه و سلم إلى وجوب الاهتمام بالحفاظ على القرآن، خارج دائرة اللحن، بطلبه إلا من أحاط من المسلمين برحل لحن في القرآن "**أرشدوا أخاكم فقد ظل**" [6]معتبرا اللحن في القرآن ضلالا عن الحق. [7]

و يمضي عهد النبي صلى الله عليه و سلم ليأتي عهد الصديق حيث ينبري إلى جمع القرآن، في صحف مرتبة الصور و الآيات، و ضمن كتابا واحد [8]حيث تطالعنا فيه رواية مهمة نقلها السيوطي عن لسان أبي بكر يقول فيها: "لإن أقرأ فأُسقط أحبّ إليّ من أقرأ فألحن" [9] و مفادها أن أبا بكر يفضل نسيان شيء من كلام القرآن لأنه سيعلم ذلك، على اللحن فيه مخالفة أن يلتبس المعنى على

[1] ينظر: الإيضاح في علل النحو، الزجاجي، تح، الدكتور مازن المبارك، القاهرة1378هـ، 1959م:96/95.

[2] المدارس النحوية أسطورة و واقع، ابراهيم السمرائي، عمان دار الفكر ، ط1، 1987 :69.

[3] مباحث في علوم القرآن، صبيحي الصالح، بيروت دار العلم للملايين، ط8، 1974م:65

[4] المرجع نفسه: 65

[5] المرجع نفسه: 68، و فيه سبعة أسماء و هي:علي، عثمان، ابن أبي كعب، زيد بن ثابت، عبد الله بن مسعود، أبو الدرداء أبو موسى الأشعري.

[6] كنز العمال، المتقي الهندي علي بن عبد الملك، (ت 975هـ)، 4 مج، ط دار المعارف النظامية بالهند 151/1و ينظر: كتاب الإعلام، الزركلي، بيروت، دار العلم للملايين ط4، 1979م، 309/4.

[7] نشأة النحو العربي في مدرستي الكوفة و البصرة، طلال علامة، بيروت، دار الفكر اللبناني ، ط1، 1992: 92.

[8] مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح: 74-78و هناك روايات تعيد العمل نفسه لعلي راجع فيها مطولا الكتب التالية: تاريخ القرآن للزجاجي:44 و أصول الكافي:453، الإتقان السيوطي:58 و فضائل القرآن لابن كثير:14.

[9] المزهر في علوم اللغة و أنواعها، السيوطي، دار إحياء الكتب العربية، ط3: 397/2.

السامع، أو أن يسيء إلى السياق تأكيدا منه على صعوبة ما نبه إليه النبي صلى الله عليه و سلم سابقا. [1]

و في عهد الخليفة عمر نشهد توسع دائرة اللحن بالقرآن بعد اشتغال غير واحد بإقرائه للناس، حيث يصوّب عمر الأعرابي لقراءة آية: { **إنّ اللهَ بريءٌ مِنَ المشركين وَ رسولِهِ** } [2] فيقرأها له بالضم بدل الكسر و يعمم على الناس "ألا يقرئ القرآن إلا عالم به" [3].

و في عهد عثمان نجد اختلاف المسلمين في قراءة القرآن، لعدم وجود علامات الإعراب، الأمر الذي أدى إلى الإختلاف في التأويل و التفسير. [4]

أما بالنسبة إلى عهد علي بن أبي طالب و معاصرته للحن منذ أيام الرسول صلى الله عليه و سلم فيستحيل سكوته عن اللحون و منها قول الأعرابي الذي لحن في آية { **لاَ يأكلُه إلّا الخاطِئين** }[5] فنصب الخاطئين بدل رفعها بالواو. [6]

هذه الأخبار مجتمعة تؤكد دور القرآن الأهم في الحض على وضع النحو علما بعد ممارسته سليقة بعد أن عم اللحن بآياته و انتشر و إلا كيف نفسر اللحن جاهليا، و مع بداية الدعوة أيام النبي صلى الله عليه و سلم، و أيام أبي بكر، و عمر، و عثمان و علي دون أن يكون تفكير في وضع هذا العلم.[7]

---

[1] نشأة النحو العربي بن مدرستي البصرة و الكوفة، طلال علامة:92.

[2] سورة التوبة: الآية 3.

[3] نزهة الألباء في طبقات الأدباء، الأنباري، تح ابراهيم السمرائي، بغداد، مكتبة الأندلس، ط2، 1970م:18،19.

[4] نشأة النحو العربي بين مدرستي البصرة و الكوفة، طلال علامة: 92.

[5] سورة الحاقة: الآية 37.

[6] نشأة النحو العربي في مدرستي البصرة و الكوفة، طلال علامة: 93.

[7] نفسه: 93

و انضمت إلى ذلك بواعث أخرى، بعضها قومي عربي [1]، فقد أغفلت معظم المراجع العربية الحديثة هذا العامل و العوامل الأخرى، الاجتماعية و السياسية و تطور العقل العربي، و قد مر بعضهم على ذكرها مرورا عابرا. و لعل ذلك عائد إلى اعتقادهم أن العامل الديني طغى على كل ما عداه من الأسباب و البواعث التي أدت إلى وضع النحو، علما أن أحدا لا ينكر على الإطلاق أن الباعث الديني كان على رأس الدواعي و الدوافع، لا بل كان أبرزها و أهمها باعتباره سببا مباشرا لوضع النحو، لكننا لا نستطيع إهمال الدوافع الأخرى و إن كانت أقل تأثيرا من العامل الديني، إذ كان لها دور لا يستهان به في مسألة نشأة علم العربية.[2]

نعود لنتكلم عن الباعث القومي، و نقول إن الله سبحانه و تعالى قد أكرم العرب عندما اختار من بينهم رسولا عربيا، و أكرمهم أيضا بإنزال القرآن الكريم بلغتهم. قال الله تعالى: { **إنّا أنزلناهُ قرآنًا عربيًّا** }[3] فاحتلت تلك اللغة مكانة عالية بين اللغات العالمية، ما دفع طه حسين إلى القول: "اللغات العالمية ثلاث لغات فقط: اليونانية و اللاتينية ثم العربية بعد الفتح الإسلامي.[4]

و قد عزر مركز العرب الذين اعتدوا بأنفسهم حين خاطبهم الله تعالى قائلا: { **كُنتمْ خيرَ أمَّةٍ أُخرِجت للنّاس تأمرون بالمعروف و تنهون عَن المُنكرِ** }[5] من هنا نظر العرب إلى أنفسهم نظرة إعجاب و تقدير، و شعروا أن عليهم أن يكونوا كما شاء الله لهم، إذ وضعهم في مرتبة تسموا بالعظمة و المنزلة الرفيعة، و قد دفعهم ذلك إلى الافتخار بكل ما هو عربي ، و بخاصة اللغة التي اعتزوا بها و اعتدوا اعتدادا قويا. و قد ولد هذا الاعتزاز في أنفسهم الإحساس بالخوف على تلك

---

[1] المدارس النحوية، شوقي ضيف:12.

[2] الوسيط في تاريخ النحو العربي، عبد الكريم محمد، الرياض، دار الشواف للنشر و التوزيع،1992: 22 و ما بعدها. نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، مصر دار المعارف، ط5، 1393هـ/- 1973م: 16 و ما بعدها، النحو العربي و مناهج التأليف و التحليل، محمد عوض العبيدي، ليبيا، منشورات جامعية، قاريونس –د ط، 1989، 1410هـ: 35. النحو و كتب التفسير، رفيدة ابراهيم عبد الله، دار الجماهيرية للنشر، ط1399،3هـ- 1990م: 15/1.

[3] سورة يوسف الآية 05.

[4] مجلة آخر ساعة، طه حسين، عدد1622، تاريخ 1967/10/14م/1387هـ.

[5] سورة آل عمران الآية110 .

اللغة من الفساد و الضياع، و الاندثار في خضم لغات الشعوب المتدفقة إلى جزيرتهم، ما دفعهم إلى الحرص على رسم أوضاعها خشية عليها من الفناء.[1]

و قد ذكر الدكتور فتحي عبد الفتاح أن الموجات البشرية من موال و سيابجة و وزط من الفرس و أتراك و أحباش كانت قد تدفقت إلى الكوفة و البصرة حيث شكلت مع مرور الأيام تنظيمات صارعت العرب في أرضهم و هزمتهم و انتزعت من أيديهم زمام الأمور في السياسة و الإدارة، فتهددت لغتهم بالانقراض و الزوال. و بدافع التعصب لتلك اللغة باعتبارها لغتهم القومية، هب العرب لصونها و درء خطر اللحن عنها بوضع قوانينها و قواعدها.[2]

و يبدو الباعث القومي أكثر وضوحا فيما قاله الثعاليبي: "من أحب الله تعالى أحب رسوله محمد صلى الله عليه و سلم و من أحب الرسول العربي أحب العرب، و من أحب العرب أحب العربية، من أحب العربية عني بها و ثابر عليها، و صرف همته إليها... أعتقد أن محمدا صلى الله عليه و سلم خير الرسل و العرب و خير الأمم و العربية خير اللغات و الألسنة، و الإقبال على تفهمها من الديانة إذ هي أداة العلم و مفتاح التفقه في الدين و سبب إصلاح المعاشر و المعاد".[3]

و يضاف إلى ذلك أن العرب أنفسهم وجدوا أنهم أصبحوا قوامين على أهم ذات حضارات قديمة و ثقافات ذات تنوع و عمق، و لم يكن للعرب مثل هذه الحضارات و لا تلك الثقافات كما عند غيرهم من الأمم مثل السريان و الهنود و المصريين، فوجد العرب أنفسهم أمام أمر جد خطير و هو: إما أن يكونوا أصحاب رسالة لا تستند إلى ثقافة، و بذلك يعرضون دينهم و لغتهم للجمود و تدخل الأفكار الأجنبية، أو أن يثبتوا لأنفسهم و للعالم أنهم أهل "لحمل رسالة السماء و الحفاظ عليها و نشرها و الذود عن اللغة العربية ضد كل ما يعرضها للانحراف".[4]

---

[1] المدارس النحوية شوقي ضيف، مصر دار المعارف، ط2: 12.

[2] أبو الأسود الدؤلي و نشأة النحو العربي، الدجني فتحي عبد الفتاح، وكالة المطبوعات،1974: 56-57.

[3] فقه اللغة و سر العربية،الثعاليبي، تح مصطفى السقاء ط2، 1954، المقدمة:01.

[4] الأصول، تمام حسان: 2، 23.

و من أجل ذلك و غيره "أهابت العصبية العربية بالعلماء في الصدر الأول الإسلامي أن يصدوا هذا السبيل الجارف الذي كاد يكتسح اللغة العربية بما قذف فيها من لحن تسربت عدواه إلى القرآن الكريم و السنة الشريفة بها هدوا إليه و سموه علم النحو".[1]

و يرى الدكتور تمام حسان أنه: "إذا كان العامل الديني قد دفع العرب إلى حفظ نص القرآن فالعامل القومي دفعهم إلى جني ثمار القرآن الكريم، و لقد أقام العرب بنيانهم الثقافي الأصيل على القرآن الكريم".[2]

الباعث الإجتماعي:

بعد تنامي اللحن، شعر علماء العرب بأن الأمر يقضي بحث الموالي على تعليمهم العربية باعتبارهم أخوة للعرب في الدين، فأبو الأسود الدؤلي يرى أن هؤلاء الموالي رغبوا في الإسلام، و دخلوا فيه، و صاروا إخوة، لذلك يجب تعليمهم الكلام، و يبدوا أن التركيز على تعليم هؤلاء الموالي مرده أنهم أصبحوا يمثلون نصف السكان في المجتمع الإسلامي و بخاصة في البصرة التي جاءت إليها القبائل العربية من كل حدب و صوب و لاسيما بعد الفتح الإسلامي. ثم إن الحياة الاجتماعية في تلك المدينة، قد تغيرت مع مرور الزمن، إذ أصبحت البصرة تعج بمختلف الأجناس التي لم يستطع إتقان أساليب اللغة العربية في المرحلة الأولى من مجيئها، كما أن الجزيرة العربية أصبحت مرتادا للأعاجم فحاضرة الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين، هي المدينة، و مقصد المسلمين كلهم في حج مكة المكرمة، و كان الناس من جميع الأجناس، يتدفقون للحج لتأدية الفريضة التي أمر الله بها من استطاع إليها سبيلا، أو يأتون لقضاء بعض مصالحهم في حاضرة الخلافة أحيانا، و المعروف أن عرب الجزيرة، كانوا قد ملكوا رقيقا كثيرا و أسكنوه معهم في الحجاز و عنده، فضلا من اختلاط العجم بالعرب في البيوت و الأسواق و المناسك و المساجد، و ما أدى إلى خلل في لسان العرب، و لم يكن الاختلاط في الأمصار أقل سلبا منه في الجزيرة العربية على اللغة، فقد خالط عرب مصر القبط، و عرب الشام

[1] نشأة النحو، الطنطاوي:08.

[2] الأصول، تمام حسان:25.

الشاميين و عرب العراق الفرس و النبط [1]، فدب اللحن إليهم إذ أن اللغة العربية لغة معربة و هكذا فإن التفاعل الاجتماعي بين مختلف الأجناس من عرب و عجم قد أدى إلى فشو اللحن الذي شكل خطرا هدد اللغة العربية بالضعف و الضياع[2] و ذكرت بعض المراجع العربية الأخرى أن مرد الباعث الاجتماعي يكمن في أن الشعوب المستغربة وجدت أنها بحاجة ملحة إلى من يوضح لها مسائل الإعراب و التصديق في اللغة العربية ليتسنى لها النطق بأساليبها نطقا سليما و اتقانها نطقا جيدا. [3] و كل ذلك معناه أن بواعث متشابكة دفعت دفعا إلى التفكير في وضع النحو.[4]

بالإضافة إلى ذلك، فقد رأى الداخلون الجدد في المجتمع العربي أنه لابد لهم من فهم اللغة العربية، ليتعايشوا، و يتكيفوا في هذا المجتمع الجديد، لأنهم أحسوا أنه من يتعلم العربية تقوده إلى المنطق و تقربه من توالي مقاليد الأمور، قال ابن شبرمة [5]: "إذا سترك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيرا، و يصغر من كان في عينك عظيما، فتعلم العربية، فإنها تحريك على المنطق و تدنيك من السلطان[6]".

الباعث السياسي:

ذكر أحمد أمين[7] أنه بعد انتقال السلطة إلى الأمويين و إمساكهم زمام الخلافة، بدأت ظاهرة التعصب العربي تلوح في الأفق، إذ أن الحكم الأموي لم يكن حكما إسلاميا قائما على قاعدة العدل و المساواة بين فئات الناس، و في ظله لم يكافأ من أحسن، عربيا كان أو مولى، و يعاقب فيه من

---

[1] جيل من العجم ينزلون بالبطائح، بين العراقيين، و سموا بهذا الإسم لكثرة النبط عندهم، و هو الماء، و سمي أولاد شيت أنباطا لأنهم نزلوا هناك هذا أصله ثم استعمل في اختلاط الناس و عوامهم. و منه كلمة النبطية، البستاني، بطرس، محيط المحيط مادة (ن ب ط)مكتبة لبنان، ت1983م/1403هـ.

[2] أبو الأسود المدؤلي و نشأة النحو العربي: الدجني فتحي عبد الفتاح: 48.

[3] ينظر: المدارس النحوية، شوقي ضيف: 12.

[4] نفسه:12

[5] هو عبد الله ابن شبرمة بن الطفيل الكوفي، كان من علماء الفقه و الحديث توفي سنة 144هـ، دائرة المعارف القرن العشرين، محمد فريدي وجدي، ، بيروت، لبنان، دار المعرفة، ط3، د ت، م:10.

[6] عيون الأخبار بن قتيبة، القاهرة، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، د ط، 1963م/1392هـ، م3: 55/01.

[7] هو ابن الشيخ ابراهيم الطباخ، كان عالما بالأدب، غزير الإصلاح على التاريخ و يعد من كبار الكتاب، مؤلفاته كثيرة، ولد في القاهرة سنة 1295هـ و توفي فيها سنة 1373هـ.

أجرم، عربيا كان أو أعجميا. و كانت الجاهلية طاغية على النزعة الإسلامية، إذ أن الحق و الباطل يختلفان باختلاف من صدر عنه العمل، فالعمل حق إذا صدر عن عربي من إحدى القبائل، و هو باطل إذا صدر عن مولى أو عربي من قبيلة أخرى [1] إذا هذا التعصب دفعهم إلى الاهتمام بكل ما هو عربي و بخاصة اللغة، فتشكيل القرآن الكريم تم في عصر الأمويين عندما كان زياد بن أبيه عاملا لمعاوية على البصرة.[2]

تطور العقل العربي:

يضاف إلى البواعث سابقة الذكر، أن مستوى العقل العربي من ناحية التطور و الرقي قد بلغ حدا بعيدا، استنادا إلى مبدأ قانون الارتقاء عند البشر، ما ساعد على وضع علم النحو بما فيه من مسائل و قوانين، تطورت مع تقلب الظروف و انتظمت أقيسها انتظاما دقيقا.[3]

تلك هي البواعث التي كانت تهدف إلى وضع النحو لصوت اللسان من الخطأ و الحفاظ على اللغة لأنها لغة الإسلام و المسلمين.

المبحث الثاني: متى و أين كان وضعه؟

عرفت مما سلف أن وضعه في الصدر الأول من الإسلام، لأن علم النحو ككل قانون تتطلبه الحوادث و تقتضيه الحاجات، و لم يكن قبل الإسلام ما يحمل العرب على النظر إليه، فإنهم في جاهليتهم غنيون عن تعرفه، لأنهم كانوا ينطقون عن سليقة جبلوا عليها، فيتكلمون في شؤونهم بدون إعمال فكر أو رعاية قانون كلام يخضعون له، قانونهم ملكتهم التي خلقت فيهم، و معلمهم و بيئتهم المحيطة بهم، بخلافهم بعد الإسلام إذ تأشبوا بالفرس و الروم و البنط و غيرهم، فحل بلغتهم ما هال الغير عليها و على الدين حتى هرعو إلى وضع النحو، كما تقدم. و هذا هو التحقيق الذي عول عليه

[1] ضحى الإسلام، محمد أمين، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ، ط2، 1961م/1381هـ، م2، 27/1.

[2] أبو الأسود الدؤلي و نشأة النحو العربي، عبد الفتاح الدجني: 57.

[3] المدارس النحوية، شوقي ضيف: 12.

الجمهور[1] و في ذلك يقول أحمد بن فارس: "نقول إن هذين العلمين[2]قد كانا قديما، و أتت عليهما الأيام، و قلا في أيدي الناس، ثم جددهما [3]هذان الإمامان [4]" و قد زعم بعض العلماء أن العرب كانوا يتأملون مواقع الكلام و أن كلامهم ليس استرسالا و لا ترجيما، بل كان عن خبرة بقانون العربية، فالنحو قديم فيهم أبلته أيام ثم جدده الإسلام على يد أبي الأسود الدؤلي بإرشاد الإمام علي كرم الله وجهه. و من هؤلاء العلماء نجد أحمد بن فارس في أوائل كتابه "الصاحبي" [5] حيث يقول: "و من الدليل على عرفان القدماء من الصحابة و غيرهم بالعربية، كتابتهم المصحف على الذي يعلله النحويون في ذوات الواو و الياء و الهمز و المد و القصر، فكتبوا ذوات الياء بالياء و ذوات الواو بالواو، و لم يصوروا الهمزة إذا كان ما قبلها ساكنا في مثل: الخبء و الدفئ و الملء" [6]و الغريب في الأمر أن بن فارس يناقض نفسه بنفسه حين يقول في: "معجم مقاييس اللغة": "و هذا عندنا من الكلام المولد، لأن اللحن المحدث لم يكن في العرب العارمة، الذين تكلموا بطباعهم السليمة" [7]، فكيف يكون النحو قائما في الجاهلية،و عرب هذا العصر يتكلمون عن سليقة و طبع سليم؟[8]

و بالتالي و خلافا لابن فارس فقد أجمعت معظم المصادر القديمة الأخرى أن النحو العربي لم يكن قائما في الصور التي سبقت الإسلام، لأن العرب، في تلك الحقبة الزمنية كانوا ينطقون عن سليقة جبلوا عليها [9] و في ذلك يقول أبو بكر الزبيدي: "و لم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر الإسلام، و ماضي جاهليتها".[10]

---

[1] نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة، الطنطاوي، دار المعارف بمصر، ط5، 1973،1393م:20.

[2] أي النحو و العروض.

[3] أي أبو الأسود الدؤلي، و الخليل بن أحمد.

[4] الصاحبي في فقه اللغة و سنن العربية في كلامها، أحمد بن فارس، تح مصطفى الشوملي، بيروت مؤسسة بدران للطباعة و النشر ، دط، 1963م/1382هـ:38.

[5] نشأة النحو، الطنطاوي، 20

[6] الصاحبي، أحمد بن فارس:39.

[7] معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس، تح عبد السلام هارون، مكتب الأعلام الإسلامي دط، 1404هـ/1983م: 239/5.

[8] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل شامي: 35.

[9] نفسه:35.

[10] طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، مصر، دار المعارف ، ط2، دت:11.

و تذهب المراجع العربية الحديثة إلى أن الطرق الخاصة بالأداء في اللغة قد التزمت باطراد في تراكيبها و أساليبها و مرنت عليها ألسنة العرب، و تمكنت من طبائعهم قبل أن توضع لها القواعد النحوية. و بهذا يكون النحو قد نشأ فنا قبل أن يكون علما.[1]

و هكذا فان غالبية القدماء و المحدثين يرون أن النحو لم يوضع في العصر الجاهلي، بل وضع في الصدر الأول للإسلام، ذلك أن العرب كانوا ينطقون عن سليقة فطروا عليها قبل ظهور الإسلام، و لم يكونوا بحاجة إلى ضابط كلامي يخضعون له. فقانونهم ملكتهم التي نشأت معهم. غير أن الأمر تغير بعد انتشار الدعوة الإسلامية و مخالطة العرب لشعوب الأمصار المفتوحة، إذا أصبحت الحاجة ملحة لإيجاد علم يحمي اللغة من الفساد، و يضع لها قواعد تحفظها من الفناء و تصونها من اللحن، فنشأ علم النحو.[2]

و قد كان وضعه و نشوئه في العراق، لأنه على حدود البادية، و ملتقى العرب و غيرهم، توطنه الجميع لرخاء الحياة فيه، فكان أظهر بلد انتشر فيه وباء اللحن الداعي إلى وضع النحو [3]، فكانت مركزا لطبقة الموالي الذين تكاثروا في المدن الإسلامية كثرة ظاهرة و لاسيما في البصرة و الكوفة. و كان معظم أسرى العرب في الحروب، و كانوا يعملون في حرف و مهن مختلفة كالزراعة و الصناعة، فضلا عن أن تلك المدينة كانت موئلا للساسانيين الذين حاربوا مع العرب، و للسيابجة و الزط من بلاد فارس، و الأتراك الذين أسروا في الحروب مع العرب و الأحباش الذين أقاموا في البصرة منذ عهد عمر بن الخطاب، و كان العراق بشكل عام، و البصرة بشكل خاص مركزا لإقامة القبائل العربية و تلك الطبقات و العناصر من الموالي، لرخاء الحياة هناك. و قد أدى امتزاج هته الأجناس إلى جعل

[1] البحث اللغوي عند العرب، عمر أحمد مختار، القاهرة عالم الكتب ، ط4، 1982 :80 ، أبو الأسود الدؤلي و نشأة النحو العربي، فتحي عبد الفتاح الدجني.

[2] نشأة النحو الطنطاوي:20.

[3] نفسه: 21.

المدن العراقية و بخاصة البصرة منها أظهر بلد اشتهر فيه وباء اللحن الذي دفع العلماء إلى وضع النحو في الوقت الذي لم يكن لعرب الجزيرة حاجة لهذا العلم باعتبار لغتهم فصيحة.[1]

المبحث الثالث: أصل النحو العربي:

إن حاجة العرب للنحو دفعتهم إلى وضعه، و بعثه من جديد لصون لغتهم التي أنزل الله تعالى بها قرآنهم المجيد، و حفاظا على شريعتهم النابعة من هذا الكتاب العظيم، و على دينهم الحنيف الذي نقلهم من الظلمات إلى النور، و حماية لكل ما هو عربي و بناءا على ما تقدم، فهل يكون النحو عند العرب، مقتبسا من لغات سواهم أم هو أصيل الطابع؟ و من الذي أسسه و وضعه منهم؟[2]

تعددت آراء الباحثين في قضية أصل النحو العربي، فبعض الباحثين يرى أن أصل هذا العلم هو اللغة السريانية بفعل اتصال العرب بالسريانيين منذ الجاهلية و بفضل هذا الاتصال حصل تأثير بين اللغتين العربية و السريانية، و في ذلك يقول جورجي زيدان [3]: " فالظاهر أن العرب لما خالطوا السريان في العراق، اطلعوا على آدابهم و في جملتها النحو، فأعجبهم، فلما اضطروا إلى تدوين نحوهم نسجوا على منواله لأن اللغتين شقيقتان. و يؤيد ذلك أن العرب بدؤوا بوضع النحو، و هم في العراق بين السريان و الكلدان، و أن أقسام الكلام في العربية هي نفس أقسامه في السريانية".[4]

و يذهب شوقي ضيف إلى أن العرب اتصلوا بالسريانية قبل الفتح الإسلامي، ثم قوي هذا الاتصال بعد هذا الفتح، إذ كانوا يقيمون في حوض دجلة الأعلى و في الجنوب حول الحيرة، و في

---

[1] أبو الأسود الدؤلي و نشأة النحو العربي، فتحي الدجني، الكويت، وكالة المطبوعات ، ط1، 1974م/1394هـ:14، نشأة النحو، الطنطاوي:21.

[2] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره أحمد جميل شامي:39.

[3] نفسه:40

[4] تاريخ آداب اللغة العربية، زيدان جرجي بن حبيب، لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ط، 1983م،1403هـ :219/1

الحيرة نفسها، و كانوا يدينون المسيحية، و تأثر هؤلاء بالسريانية، و تعلم كثير منهم اللسان السرياني.[1]

كذلك يصرح أحمد أمين بأن الآداب السريانية كانت في العراق قبل الإسلام، و كان لها قواعد نحوية، ما ساعد على وضع قواعد العربية على نمط القواعد السريانية، و ذلك أن اللغتين من أصل سامي واحد.[2]

كذلك رأى كل من أحمد حسن الزيات وحسن عون أن العرب اقتبسوا نقاط النحو السرياني إلى النحو العربي.[3]

و قد ذهب فريق آخر من المحدثين زاعما أن العرب اقتبسوا نحوهم من اليونانيين مباشرة و من هؤلاء إبراهيم مصطفى الذي قال نقلا عن غيره، إن أبا الأسود أخذ النحو عن اليونانية، و هي لغة كانت قد قرأها. [4] كذلك ذكر محمد السعران أن النحو العربي كان قد تأثر بمنطق أرسطوا في مراحله الأولى[5].

كذلك قرن نشأة النحو الهندي بنشأة النحو عند العرب.[6]

أما الاتجاه الذي يمثله عدد من المحدثين كالمستشرقين (ليتمان) و كارل بروكلمان و أحمد زكي الأنصاري و الشيخ محمد الطنطاوي، و غيرهم يرى أن النحو العربي محض، و ليس منقولا عن السريانية[7]حيث صرح بذلك بقوله: "نشأ النحو في العراق صدر الإسلام لأسبابه نشأة عربية على

[1] التطور و التجديد، شوقي ضيف ، مصر، دار المعارف ، ط1968،2م، 1402هـ:40.

[2] فجر الاسلام، أحمد أمين، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ،ط8، 1911م، 1332هـ:183.

[3] تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، القاهرة، ط25: 206 دراسات في اللغة و النحو، عون حسن، الإسكندرية، ط1952،1 :215.

[4] مجلة كلية الآداب، مصطفى ابراهيم، جامعة القاهرة، المجلد العاشر، 1948: 4/2.

[5] علم اللغة، السعران محمد، القاهرة دار المعارف، 1382/1962هـ:36.

[6] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل شامي:41.

[7] نفسه:44.

مقتضى الفطرة ثم تدرج به التطور تمشيا مع سنة الترقي حتى كملت أبوابه، غير مقتبس من لغة أخرى، لا في نشأته و لا في تدرجه".[1]

كذلك صرح عباس حسن بأن القواعد اللغوية، و منها النحوية، مستمدة من الكلام العربي الأصيل مباشرة، و بها نستطيع أن نحاكي العرب و نجعل كلامنا مثل كلامهم، و نجريه منه في مضمار واحد، و ذلك هو القياس[2] في اللغة و فروعها.[3]

و ذكر المستشرق كارل بركلمان أن الذي يتكرر دوما عند علماء العرب هو أن علم النحو انبثق من العقلية العربية المحضة بقطع النظر عن الروابط بين اصطلاحات هذا العلم و منطق أرسطو و فيما عدا ذلك لا يمكن إثبات وجوه أخرى من التأثير الأجنبي، لا من القواعد اللاتينية و لا من الهندية.[4]

هذا الاتجاه يوافق ما ذكرناه آنفا، و هو يرى أن النحو العربي وضعه عربي محض لم يتأثر لا بالسريانية و لا باليونانية و لا حتى الهندية و إنما ابتكره العرب.

و يبقى الاتجاه الأخير الذي يمثل المذهب الوسط، و قد ضم هذا الاتجاه عددا من المستشرقين و المحدثين العرب، و لعل المستشرق "ليتمان" كان أبرزهم [5] حيث يقول: "اختلف الأورباويون في أصل هذا العلم، فمنهم من قال أنه نقل من اليونان إلى بلاد العرب، و قال آخرون ليس كذلك و إنما كما تنبت الشجرة في أرضها كذلك نبت علم النحو عند العرب، و هذا هو الذي روى في كتب من زمن، و نحن نذهب في هذه المسألة مذهبا وسطا، و هو أنه أبدع العرب علم النحو في الابتداء، و أنه لا يوجد في كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو و الذين تقدموه، لكن لا تعلم العرب

---

[1] نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي:21.

[2] القياس يعني محاكاة العرب في طرائقهم اللغوية، حمل كلامنا على كلامهم، في صوغ أصول المادة و فروعها، و ضبط الحروف، و ترتيب الكلمات و غير ذلك، ينظر: اللغة و النحو بين القديم و الحديث، عباس حسن، مصر دار المعارف، دط، دت: 22.

[3] تطور النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل شامي:44.

[4] تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط4، 1919 م/1378هـ:124/2.

[5] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل شامي:46.

الفلسفة اليونانية من السريان في بلاد العراق تعلموا أيضا شيئا من النحو"[1]... و لعله يقصد "بشيء من النحو" النقاط التي أخذها العرب من السريانية، و هي نقاط تشبه دائرة الخمسة أو السكون و تلك النقاط لا تدل على أنها عربية كما ذكرها الرواة.[2]

و يمضي "ليتمان" قائلا: "و برهان هذا أن تقسم الكلمة مختلف، قال سيبويه: فالكلم اسم و فعل و حرف جاء لمعنى، و هذا تقسيم أصلي، أما الفلسفة فينقسم فيها الكلام إلى إسم و كلمة و رباط، و هذه الكلمات ترجمت من اليوناني إلى السرياني، و من السرياني إلى العربي، فسميت هكذا في كتب الفلسفة، لا في كتب النحو، أما كلمات اسم و فعل و حرف فإنها اصطلاحات عربية ما ترجمت و لا نقلت".[3]

تلك هي الأقوال الثلاثة، و المعول عليه منها الأول، و إذ الثاني مجرد اختراص لا سر له إلا الولوع بالانتقاص من العرب، و الثالث لا يناهض الأول فيما خالفه فيه، فإنه غير مسلم أن يكون علماء العرب عيالا على غيرهم فيما يتصل بتنظيمه بعد اهتدائهم إلى اختراعه و ابتكاره.[4]

المبحث الرابع : واضعه

علمنا إجمالا أن واضعه من رجالات عصر الإسلام على ما تقدم بيانه، لكنهم اختلفوا و اضطرب اختيارهم متقدمين و متأخرين، كابن سلام في طبقات الشعراء، و ابن قتيبة في المعارف و الزجاجي في الأمالي، و أبي الطيب اللغوي في مراتب النحويين و السيرافي في أخبار النحويين و البصريين، و الزبيدي في الطبقات، و ابن النديم في الفهرست، و الأنباري في نزهة الألباء و القفطي في إنباه الرواة، فمن هو الواضع؟[5].

[1] نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي:22.
[2] أبو الأسود الدؤلي و نشأة النحو العربي، الدجني عبد الفتاح:75.
[3] نشأة النحو ،و تاريخ أشهر النحاة، الطنطاوي:22.
[4] نفسه:23
[5] نفسه:23

لا بد من الإشارة إلى أننا قسمنا هذه الروايات إلى ثلاثة أنواع:

فالنوع الأول يمثل روايات تسند هذا العلم، من حيث النشأة و الابتكار إلى أبي الأسود الدؤلي، ذكر السيرافي أن الناس اختلفوا في أول من رسم النحو، فقال بعضهم: "أبو الأسود... و أكثر الناس على أبي الأسود الدؤلي".[1]

و أشار هذا العالم إلى رواية ورد فيها أن أبا الأسود جاء إلى عبيد الله بن زياد يستأذنه في أن يضع العربية، فرفض و قد جاء قوم، فقال أحدهم: "أصلحك الله مات أبانا و ترك بنونا، فقال: علي بأبي الأسود وضع العربية".[2]

و أورد السيرافي نقلا عن يحي بن آدم رواية أخرى جاء فيها أن "أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي".[3]

أما أبو بكر الزبيدي فنقل روايات توضح السبب الذي دفع أبا الأسود إلى وضع النحو حين قال: "و هو أول من أسس العربية و نهج سبلها، و وضع قياسها و ذلك حين اضطرب كلام العرب و صار سراة الناس و وجوههم يلحنون، فوضع باب الفاعل و المفعول به و المضاف و حروف النصب و الرفع و الجر و الجزم".[4]

قال أبو علي اسماعيل بن القاسم بن عيدون بن هارون القالي، ثم البغدادي: حدثنا أبو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج النحوي، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، قال: أول من وضع العربية و نقط المصاحف أبو الأسود ظالم بن عمرو.[5]

---

[1] أخبار النحويين و البصريين، السيرافي، اعتنى بنشره و تهذيبه فرينس كرنكو، بيروت، المطبعة الكاثوليكية. (48) 1936م/1358هـ:13.

[2] المقصود بالعربية النحو، ينظر: طبقات النحويين و اللغويين للزبيدي، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، مصر، دار المعارف، ، ط2 دت:21.

[3] أخبار النحويين و البصريين، السيرافي: 17

[4] نفسه:17.

[5] طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي: 21.

و مما رواه الزبيدي كذلك أن الذي أوجب عليه الوضع في النحو أن ابنته قعدت معه في يوم قائظ شديد الحر، فأرادت التعجب من شدة الحر فقالت: "ما أشد الحر !" فقال أبوها: القيظ، و هو ما نحن فيه يا بنية، جوابا عن كلامها لأنه استفهام، فتحيرت و ظهر لها خطؤها، فعلم أبو الأسود أنها أرادت التعجب فقال لها: قولي يا بنية: "ما أشد الحر"! فعمل باب التعجب و باب الفاعل و المفعول به، و غيرها من الأبواب".[1]

و يضاف إلى هذا ما ورد من روايات في نزهة الألباء لأبي البركات ابن الأنباري تنسب وضع النحو إلى أبي الأسود الدؤلي، فقد روي أن هذا العالم جاء إلى زياد بالبصرة، فقال: "إني أرى العرب قد خالطت الأعاجم، و تغيرت ألسنتهم. فجاء رجل إلى زياد فقال: "أصلح الله الأمير ! توفي أبانا و ترك بنونا فقال زياد: توفي أبانا و ترك بنونا؟ أدع لي أبا الأسود ! فقال: ضع للناس الذي نهيتك أن تضع لهم".[2]

و روي عن بعضهم أنه قال: "أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلي".[3]

و وردت رواية أخرى في "نزهة الألباء في طبقات الأدباء" تتناول اللغط في الآية(03) من سورة (براءة)، فروي أن أعرابيا قدم في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: { **إن الله بريء من المشركين و رسوله** } بالجر، فقال الأعرابي: أو قد برئ الله من رسوله؟ إن يكن الله بريئا من رسوله فأنا أبرأ منه، فبلغ عمر رضي الله عنه ما قاله الأعرابي، فدعاه، فقال له: يا أعرابي، تبرأ من رسول الله صلى الله عليه و سلم؟: يا أمير المؤمنين، إني قدمت المدينة، و لا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني؟ فأقرأني هذا سورة (براءة) فقال: إن الله بريء من المشركين و رسوله، فقلت: أو برئ الله من رسوله؟ إن يكن الله تعالى بريء من رسوله فأنا أبرأ منه: فقال عمر رضي الله عنه له: ليس هكذا يا أعرابي! فقال: كيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: { **إنّ اللهَ بريءٌ من المشركين و رَسولُهُ** } فقال

[1] نفسه:21

[2] نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري، تح ابراهيم السمرائي. بغداد مكتبة الأندلس، 1970م: 1390هـ: 21.

[3] نفسه:23

الأعرابي: و أنا و الله، أبرأ ممن برئ الله منهم، و أمر عمر أن لا يقرأ القرآن إلا عالم باللغة، و أمر أبا الأسود الدؤلي أن يضع النحو".[1]

و بشأن قراءة هذه الآية الكريمة روي أيضا، نقلا عن القفطي في كتابه "أنباه الرواة على أنباه النحاة" أن زيادا سمع شيء مما عند أبي الأسود و رأى اللحن قد فشا على اللسان العربي بسبب الموالى، فقال لأبي الأسود: "أظهر ما عندك لتكون للناس إماما، فامتنع من ذلك و سأله الإعفاء حتى سمع أبو الأسود قارئا: {**أن الله بريء من المشركين و رسوله**} بالكسر، فقال: ما ظننت أمر الناس آل إلي هذا! فرجع إلى زياد، فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير، فليبغني كاتبا "لقنا" يفعل ما أقول، فأتي بكاتب من عبد القيس فلم يرضه، فأتي بكاتب آخر... فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، و إن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف و إن كسرت، فاجعل أمارة ذلك نقطتين ففعل ذلك، و كان أول ما وضعه لهذا الباب".[2]

كذلك روى النديم [3] أن أبا الأسود "هو أول من استنبط النحو، و أخرجه من العدم إلى الوجود و أنه رأى بخطه ما استخرجه، و لم يغزه إلى أحد قبله".[4]

أما النوع الثاني، فتمثله روايات تنسب وضع النحو العربي إلى نصر بن عاصم الليثي، و عبد الرحمان بن هرمز الأعرج، غير أن هته الروايات قليلة، و قد أشار إليها السيرافي في كتابه "أخبار النحويين البصريين"[5]

و أبو بكر الزبيدي في "طبقات النحويين و اللغويين"[6]

---

[1] نزهة الألباء، ابن الأنباري:20.

[2] أنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، تح أبو فضل إبراهيم،، مطبعة دار الكتب المصرية 1370ه/1950م،5/1.

[3] النديم هو واضع الفهرست و ليس ابن النديم، راجع ترجمة الفهرست إلى الفرنسية، و كتاب ثريا ملحس (محمود بن الحسين البغدادي المعروف بأبي الفتح كشاجم) دار الكتاب اللبناني، ط1، 1980م/1401ه.

[4] نفسه 7/1

[5] أخبار النحويين البصريين، السيرافي: 13.

[6] طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي:26.

لكن ابن الأنباري نفى أن يكون هذان العالمان أول من أسس النحو، حين قال: "فأما من زعم أن أول من وضع النحو عبد الرحمان بن هرمز بن الأعرج، و نصر بن عاصم، فليس بصحيح، لأن عبد الرحمان أخذ عن أبي الأسود و كذلك أخذ عنه أيضا ابن عاصم الليثي و يقال عن ميمون الأقرن".[1]

أما النوع الثالث من الرايات فينسب إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فقد روي أن أبا الأسود الدؤلي، أخذ النحو عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) و كان لا يخرج شيئا (مما) أخذه عن علي "كرم الله وجهه" إلى أحد حتى بعث إليه زياد اعمل شيئا يكون للناس إماما و يعرف به كتاب الله.[2]

و روي أيضا أن أبا الأسود سئل عمن فتح له الطريق إلى الوضع في النحو و أرشده إليه، فقال: "تلقيته من علي بن أبي طالب رحمه الله" [3]و ذكر أيضا أن أبا الأسود قال في حديث له: "ألقى إلى علي أصولا احتذيت عليها".[4]

و تسرد المصادر العربية القديمة الكثير من هذه الروايات، فقد جاء في "انباه الرواة" للقفطي أن الجمهور من أصل الرواية يصرح بأن أول من وضع النحو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، و ذكر هذا الجمهور أيضا أن أبا الأسود الدؤلي قال: "دخلت على أمير المؤمنين علي، عليه السلام فرأيته مطرقا مفكرا فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ فقال: سمعت ببلدكم لحنا، فأردت أن أضع كتابا في أصول العربية فقلت له: إن فعلت هذا أبقيت فينا هذه اللغة العربية. ثم أتيته بعد أيام فألقى إلي صفيحة فيها: بسم الله الرحمان الرحيم، الكلام كله اسم و فعل و حرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، و الفعل فيه ما وقع لك، و اعلم أن الأشياء ثلاثة: ظاهر و مضمر و شيء ليس بظاهر

[1] نزهة الألباء، ابن الأنباري: 16 و ما بعدها.
[2] الفهرست، النديم، تح رضا- تجدد،طهران، 1971:ص45.
[3] طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي:20.
[4] نفسه:21.

و لا مضمر، و إنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بمضمر و لا بظاهر فجمعت الأشياء و عرضتها عليه فكان من ذلك حروف النصب و ذكرت منها: أن و إن و ليت و لعل، و كأن و لم أذكر لكن فقال: لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها، فقال: بلى هي منها، فزدها فيها" [1] و صرح القفطي بأن: "هذه الرواية تعد الأشهر من أمر ابتداء النحو".[2]

و روي أيضا عن أبي الأسود قال: "دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فأخرج لي رقعة فيها: الكلام كله اسم و فعل و حرف جاء لمعنى. قال، فقلت: ما دهاك إلى هذا؟ قال: رأيت فسادا في كلام بعض أهلها فأحببت أن أرسم رسما يعرف به الصواب من الخطأ، فأخذ أبو الأسود النحو عن علي "عليه السلام"، و لم يظهره لأحد".[3]

و ذكر أيضا أن أهل مصر قاطبة يرون، بعد النقل و التصحيح، أن أول من وضع النحو العربي هو علي بن أبي طالب عليه السلام، و أن أبا الأسود الدؤلي أخذه عنه، و روي أنه قيل لأبي الأسود: "من أين لك هذا العلم؟ فقال: لقنت حدوده [4] من علي بن أبي طالب عليه السلام [5] و كان أبو الأسود قرأ على أمير المؤمنين علي عليه السلام.[6]

و روي أن أبا الأسود كان كلما وضع بابا من أبواب النحو، عرضه على علي كرم الله وجهه إلى أن حصل ما فيه كفاية، قال له: "ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوت".[7]

---

[1] إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي:4/1.

[2] نفسه:5/1

[3] أنباه الرواة، القفطي:5/1.

[4] يقال: لقن الكلام من فلان، تلقنه، أخذه من لفظة و فهمه، ينظر محيط المحيط،بطرس البستاني، مادة (ل ق ن)، مكتبة لبنان، 1983، 1403هـ.

[5] أنباه الرواة، القفطي: 15.

[6] نفسه:15.

[7] نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري: 18،19.

و قد صرح ابن الأنباري بأن عليا أول من وضع النحو فقال: "اعلم أيدك الله بالتوفيق، و أرشدك إلى سواء الطريق، أن أول من وضع علم العربية و أسس قواعده و حد حدوده، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) و أخذ عنه أبو الأسود الدؤلي".

و قال أبو عبيدة معمر بن مشن و غيره أن عليا عليه السلام هو الذي وضع النحو و أن أبا الأسود أخذه عنه، و كذلك حكى أبو حاتم السجستاني.[1]

و كان ابن الأنباري قد عرض روايات مختلفة في "نزهة" الألباء" متوصلا في النهاية إلى القول: "و صحيح أن أول من وضع النحو علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لأن الروايات كلها تسند إلى أبي الأسود، و أن أبا الأسود يسندها إلى علي عليه السلام، فإنه روي عن أبي الأسود أنه سئل، فقيل له: من أين لك هذا النحو؟ قال: لفقت[2] حدوده من علي: بن أبي طالب".[3]

يضاف إلى هذا أن ابن خلدون ذكر في مقدمته المشهورة أن أبا الأسود كتب في النحو بإشارة علي عليه السلام الذي شعر بتغير الكلمة بعد مخالطة العرب الأعاجم ما دفعه إلى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقراة، ثم استأنف الناس الكتابة فيها من بعده إلى أن انتهت إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي أيام الرشيد.[4]

و خلاصة القول أن الروايات اختلفت في نسب علم النحو إلى علي كرم الله وجهه و أبو الأسود الدؤلي فقد ذكر الشيخ محمد الطنطاوي أن أبا الأسود هو واضع هذا الفن و نسبة الوضع للفن إنما تعد نتيجة لقيام الواضع ببعض الأحزاب الأساسية في ذلك الفن و هذا ما كان من أبي الأسود كما رأينا... و مما يؤيد نسبة الوضع إلى أبي الأسود ما روى ابن النديم محمد ابن إسحاق في الفهرست أن رجلا بمدينة الحديثة اسمه محمد بن الحسين كان جماعة للكتب، و قد آلت إليه خزانة

---

[1] نفسه:17.

[2] يقال ألفق الشيء: أي أحذه و أصابه، ينظر: محيط المحيط، بطرس البستاني، (مادة ل ف ق).

[3] نزهة الألباء، ابن الأنباري:22

[4] كتاب العبر، ابن خلدون دار الكتاب اللبناني (ط3)، 1967، 1328هـ و المقدمة في المجلد الأول

صديق له كان مشهرا يجمع الخطوط القديمة، قال بن إسحاق: "فرأيتها و قلبتها فرأيت عجبا إلا أن الزمان قد أخلقها و عمل فيها عملا أدرسها... و رأيتما يدل على أن النحو عن أبي الأسود ما هذه حكايته و هي أربعة أوراق و حسبها من ورق الصين ترجمتها : هذه فيها كلام في الفاعل و المفعول به من أبي الأسود رحمة الله عليه بخط يحي بن يعمر، و تحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط إعلان النحوي و تحته هذا خط النصر بن سهيل".[1]

المبحث الخامس: أول ما وضع من النحو:

اختلف العلماء في أول ما وضع منه على فريقين: أحدهما أن أول ما وضع من أبواب النحو ما أصابه اللحن، فعندما سمع علي عليه السلام أعرابيا يقرأ من سورة (الحاقة) { **لا يأكله إلا الخاطئين**}[2] أدرك وقوعه في اللحن بقوله (الخاطئين) و هذا اللحن هو الخطأ في الإعراب إذ أتت هذه الكلمة في قراءة الأعرابي منصوبة على الاستثناء في حين أن القاعدة تقضي بأن ترفع، باعتبارها فاعلا لـ (يأكل) و بذلك تصبح القراءة الصحيحة { **لا يأكله إلا الخاطِئُون** }لأن الاستثناء مفرغ و استنادا إلى ما ذهب إليه هذا الفريق ربما يكون أول ما وضع من أبواب النحو باب (الاستثناء) و ربما يكون غيره من الأبواب.[3]

لكن يشير كل من الشيخ محمد الطنطاوي و الدستور محمد عبد الكريم إلى ان الباب الموضوع أولا منوط بالرواية التي قوي سندها من بين الروايات لان جمهور النحاة يرى أن روايات كثيرة و مستفيضة اقترن فيها الوضع باللحن".[4]

---

[1] ينظر:الفهرست، ابن النديم، الفن الأول، من المقالة الثانية، تح رضا تجد طهران1971: 46

[2] سورة الحاقة الآية:37.

[3] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل شامي: 64،65

[4] نشأة النحو، محمد الطنطاوي: 61 الوسيط في تاريخ النحو العربي، الأسعد محمد عبد الكريم، الرياض، دار الشواف، ط1، 1412هـ/1992م: 27

أما الفريق الثاني فيرى أن أول من وضع منه ما كان أقرب إلى متناول الفكر في الاستنباط، لأن وضعه مبني على أساس من التفكير في استخراج القواعد من الكلام لداعي انتشار اللحن فالموضوع أولا ما كثر دورانه على اللسان، ثم يليه و هكذا، و لذا قيل إن الموضوع أولا لفاعل ثم ردفه المفعول ثم المبتدأ و الخبر و هكذا".[1]

المبحث السادس: سبب تسميته نحوا:

اسم العلم من وضع أهله و مصطلحهم لمقتضى الملابسات المناسبة في نظرهم و قد سلف أن أبا الأسود لما عرض على الإمام ما وضعه فأقره بقوله: "ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوت" فآثر العلماء تسمية هذا العلم باسم النحو استبقاء لكلمة الإمام التي كان يراد بها أحد معاني اللغوية و المناسبة بين المعنيين: اللغوي، الاصطلاحي جلية [2] فقد كان يطلق على هذا العلم في عهد أبي الأسود الدؤلي اسم العربية".[3]

لكن الزجاجي علل تسمية هذا العلم نحوا مستندا إلى ما نقل عن أبي الأسود الدؤلي و ما رآه من تفشي اللحن من المودين و أبناء العجم، و فساد ألسنة بعض الخاصة و عدد كبير من عامة العرب و هذا يعني أن الزجاجي يغزوا بسبب نشأة النحو إلى أبي الأسود، ليس لعلي عليه السلام، ما يظهر أن العلماء آثروا هذه التسمية استبقاء لكلمة أبي الأسود التي كان يراد بها أحد المعاني اللغوية و هو القصد.[4]

[1] نفسهما: 21، 27.

[2] نشأة النحو، محمد الطنطاوي: 33

[3] أخبار النحويين و البصريين، السيرافي:17

[4] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل شامي:12

المبحث السابع: من علماء القرن الأول والثاني هجري:

أبو الأسود الدؤلي: (ت89هـ)

هو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن حبذل بن يعمر بن حليس [1] ابن نغاثة بن عدي بن الديل[2] بن بكر بن عبد متاة بن كنانة، و كان علوي الرأي و كان رجل أهل البصرة.[3]

و هو أول من أسس العربية، و نهج سبلها، و وضع قياسها، و ذلك حين اضطرب كلام العرب و صار سراة الناس و وجوههم يلحنون، فوضع باب الفاعل و المفعول به و المضاف، و حروف النصب و الرفع و الجر و الجزم.[4]

قال أبو علي اسماعيل بن القائم بن عبدون بن هارون القالي، ثم البغدادي، حدثنا أبو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج النحوي، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي قال: "أول من وضع العربية و نقط المصاحف أبو الأسود ظالم بن عمرو.[5]

و قال أبو العباس محمد بن زيد: مثل أبو الأسود الدؤلي عمن فتح له الطريق إلى الوضع في النحو و أرشده إليه، فقال: تلقيته من علي بن أبي طالب رحمه الله و في حديث آخر قال: ألقى إلي علي أصولا احتذيت عليها.[6]

و روى أن الذي أوجب عليه الوضع في النحو أن ابنته قعدت معه في يوم قائظ شديد الحر فأرادت التعجب من شدة الحر فقالت: "ما أشدّ الحرّ" ![7]فقال أبوها القيظ، و هو ما نحن فيه يا

---

[1] الأسماء و اللغات، طبعة الشيخ منير الدمشقي بالقاهرة، 2/ 176 "حلبس" بالباء.

[2] كذا في الأصلين، و هو يوافق ما ذكره ابن الحبيب في المؤتلف و المختلف، جوتنجن 1850م، ص:17. طبقات الشعراء، ابن سلام، تحقيق محمد شاكر، مصر، دار المعارف 1952: 12 "الدؤل"مهموز.

[3] طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي، تح أبو الفضلإبراهيم، دار المعارف، ط2:21

[4] نفسه:21

[5] نفسه:21

[6] نفسه:21

[7] يعدها في الأغاني: "رفعت أشدّ".

بنية، جوابا على كلامها، لأنه اسفهام، فتحيرت و ظهر لها خطؤها، فعلم أبو الأسود أنها أرادت التعجب فقال لها: قولي يا بنية "ما أشد الحر" ! فهل باب التعجب و باب الفاعل و المفعول به و غيرها من الأبواب".[1]

و ذكر ابن أبي سعد [2]عن عمر بن شبة [3] عن أبي بكر بن عياش [4] عن عاصم ابن أبي النجود[5]، قال: أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي، جاء إلى زياد بالبصرة، قال: إني أرى العرب العرب قد خالطت هذه الأعاجم و تغيرت ألسنتهم، أفتأذن لي أن أضع للعرب كلاما يقيمون به كلامهم؟ قال: لا، فجاء رجل إلى زياد، فقال: أصلح الله الأمير !توفي أبانا و ترك بانون، فقال زياد: توفي أبانا و ترك بنون! ادع لي أبا الأسود، فقال: ضع للناس الذي كنت نهيتك أن تضع لهم، و قال أبو الأسود: إني أجد للحن غمرا كغمر اللحم.[6]

ابن أبي سعد، قال: حدثنا علي ابن محمد الهاشمي، قال: سمعت أبي لذكر، قال: كان بدء ما وضع أبو الأسود الدؤلي النحو أنه مر به سعد – وكان رجلا فارسيا قدم البصرة مع أهله، و هو يقود فرسه – فقال: مالك يا سعد؟ ألا تركب؟ فقال: "فرسي ضالع"فضحك من حضره، قال أبو الأسود: هؤلاء الموالى قد رغبوا في الاسلام و دخلوا فيه و صاروا لنا إخوة، فلو علمناهم الكلام ! فوضع باب الفاعل و المفعول، لم يزد عليه، قال أبي: فزاد في ذلك الكتاب رجل من بني ليث أبوابا ، ثم نظر فإذا

[1] و الخبر برواية أخرى في الاغاني:12،298

[2] هو عبد الله بن أبي سعد أبو محمد الوراق، بلخى الأصل سكن بغداد و حدث بها، و كان صاحب أخبار و ملح و آداب مات بواسط سنة274، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، القاهرة، نشرة الخانجي 1349هـ: 25/11

[3] هو عمر بن شبة بن عبيدة النميري أبو زيد البصري، الحافظ الأخباري، يروى عن عمر بن علي المقدمي و القطان و أبي نعيم مات سنة 202 تهذيب التهذيب ابن حجؤ، مطبعة المعارف حيدر آباد 325/هـ: 46/7.

[4] هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي مولاهم، و الصحيح أن اسمه كنيته يروى من حصين ابن عبد الرحمان و يروى عنه ابن المبارك و ابن المديني مات سنة173 خلاصة تهذيب العمال، الخزرجي المطبعة الرحمانية بمصر1322هـ:283.

[5] هو عاصم ابن أبي النجود بهدلة أبو بكر، أحد القراء السبعة، أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمان السلمي و زربن حبيش و أخذ عنه أبو بكر بن عياش، توفي سنة 127 بالكوفة، ابن خلكان المطبعة الميمنية بمصر 1310هـ 243/1

[6] الغمر، بالتحريك: الرسم و الزهومة في اللحم كالوضم في السمن.

في كلام العرب ما لا يدخل فيه فأقصر عنه، فلما كان عيسى بن عمر قال: أرى أن أضع الكتاب على الأكثر و أسمي الأخرى لغات، فهو أول من بلغ غايته في كتاب النحو.[1]

نصر بن عاصم الليثي:

ابن أبي سعد، حدثنا خلف بن هشام البزاز[2] قال: حدثنا محبوب البصري عن خالد الحذاء[3]، قال: سألت نصر بن عاصم – و هو أول من وضع العربية- كيف تقرأ: { **قُلْ هُوَ الله أحد الله الصّمد** } فلم ينون فأخبرته أن عروة [4] ينون، فقال: بئسما قال، و هو للبئس أهل فأخبرت عبد الله بن أبي إسحاق بقول نصر بن عاصم فما زال يقرأ[5] بها حتى مات.

و قال عمر و ابن دينار [6]: اجتمعت أنا و الزهري و نصر بن عاصم فتكلم نصر فقال الزهري: إنه ليفلق بالعربية تفليقا.[7]

و ذكر ابن سلام أن نصر بن عاصم أخذ عن يحي بن يعمر.

قال ياقوت: كان فقيها عالما بالعربية من قدماء التابعين و كان يسند إلى أبي الأسود في القرآن و النحو و له كتاب في العربية.[8]

---

[1] طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، ط2: 22

[2] هو خلق بن هشام بن تغلب، أبو محمد البزاز المقري سمع مالك بن أنس و حماد بن زيد و مات سنة228 تاريخ بغداد الخطيب طبع القاهرة (نشرة الخانجي 1349هـ:327/8

[3] هو خالد بن مهران المجاشي أو القرشي أو الخزاعي مولاهم أبو المنازل البصري و يروى عن أبي عثمان الهندي، و عنه البغدادي و سبعة قال ابن سعد لم يكن حذاء بل كان يجالس إليهم مات سنة141 خلاصة تهذيب العمال الخزرجي: 88

[4] هو عروة بن الزبير بن العوام، وردت الرواية عنه في حروف القرآن و روي عن أبويه و عائلته، مات سنة 93، طبقات القراء ابن الجزري: 511/1

[5] هي قراءة شاذة و ينظر: الشواذ ابن خلويه المطبعة الرحمانية 1924م: 182

[6] هو عمر بن دينار الجمحي، مولاهم، يروى عن مجاهد و يروى عن قتادة و شعبة

[7] طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي: 27

[8] بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، السيوطي، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت لبنان، المكتبة العصرية م02: 313.

و قيل: أخذ النحو عن يحي بن يعمر العدواني، و أخذ عنه أبو عمر و بن العلاء و كان يرى الخوارج ثم ترك ذلك و قال فيه أبياتا.[1]

ميمون الأقرن:

هو ميمون الأقرن أخذ أيضا عن أبي الأسود و يقال عن عنسبة الفيل[2] و هو الإمام المقدم في العربية العربية بعد أبي الأسود الدؤلي، حدث إسحاق بن ابراهيم الموصلي عن المدائني قال: أمر زياد أبا الأسود الدؤلي أن ينقط المصاحف، فنقطها و رسم من النحو رسوما، ثم جاء بعده ميمون الأقرن فزاد عليه في حدود العربية، ثم زاد فيها بعده عنسبة ابن معدان المهري و كان ميمون أحد أئمة العربية الخمسة الذين يرجع إليهم في المشكلات وحدث أبو عبيدة أن يونس النحوي سئل عن جرير و الفرزدق و الأخطل: أيهم أشعر؟ فقال: أجمعت العلماء على الأخطل فقال أبو عبيدة: فقلت لرجل إلى جنبه: سله: من هؤلاء العلماء؟ فسأله فقال: هم ميمون الأقرن، و عنسبة الفيل، و ابن أبي إسحاق الخضرمي و أبو عمر بن العلاء و عيسى بن عمر الثقفي، هؤلاء طرقوا الكلام و ماثوه موثا لا عمن تحكمون عنهم هم بدويون و لا نحويون.[3]

عنسبة بن معدان الفيل الميساني:

هو عنسبة بن معدان مولى مهرة، و هو المعروف بالفيل [4] أخذ عن أبي الأسود الدؤلي، و لم يكن فيمن أخذ عنه النحو أبدع منه، و روى الأشعار و ظرف و فصح، و روى شعر جرير و الفرزدق و كان لزياد ابن أبيه فيلة ينفق عليها كل يوم عشرة دراهم فقال معدان: ادفعوها إلي

---

[1] ياقوت : "و هي"

فأتت نجدة و الذين تزرقوا و ابن الزبير و يسقة العراب

و هوى النحاريين قد فارقته و عطية المتجبر المرتـاب

[2] في ترجمته في انباه الرواة 337/3: "و كان أبو عبيدة يقول: "أول مع وضع النحو أبو الأسود الدؤلي ثم ميمون الأقرن، ثم عنسبة الفيل، ثم عبد الله بن أبي اسحاق، و قال ذلك لأن عصرا واحدا جمعهم"

[3] مدارس نحوية و لغوية عربية و غربية، صبري ابراهيم السيد، مكتبة الآداب القاهرة، ط1،2011م/1432هـ: 14/13.

[4] طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي:29

و أكفيكم المؤنة، و أعطيكم عشرة دراهم كل يوم فدعوها إليه فأثرى و بني قصرا، إذا قيل: معدان الفيل، و بلغ الفرزدق أن عنسبة هذا يفضل جريرا عليه[1]: فقال:

لقد كان في معدان و الفيل زاجرٌ لعنسبةَ الرّاوى عليّ القصائِدا

قال أبو عيينة بن المهلب لعنسبة: ما أراد الفرزدق بقوله هذا؟

فقال: إنما قال:

لقد كان في معدان و اللّؤم زاجرٌ.

فقال أبو عيينة: و أبيك إن شيئا فروت منه إلى اللؤم لعظيم.[2]

و قد وصف بالبراعة في العربية.[3]

أبو ذكوان (ت 101هـ):

هو أبو صالح ذكوان السمان الزيان المدني، إمام حافظ متقن كان يجلب السمن و الزيت من المدينة إلى الكوفة روي عن سعد بن أبي وقاص و أبي هريرة، و ابن عمر و أبي سعيد و ابن عباس و جابر و غيرهم.

و روى عنه خلق منهم: أنباه سهيل و صالح و الأعمش و زيد بن أسلم و سمي و عثمان بن عاصم الأسدي، قال الإمام أحمد: ثقة من أجل الناس و أوثقهم و قد شهد الدار زمن عثمان و كان عالما فاضلا خاشعا بكاء حريصا على العلم و قد قال: ما كنت أتمنى من الدنيا إلا شربين أجالس فيهما أبا هريرة قال الأعمش: كان أبو صالح مؤذنا فأبطأ الإمام فأمنا، فكان لا يكاد يجيزها من الزقة و البكاء و كان من أثبت الناس في أبي هريرة و أعلمهم بحديثه، قال: ما أحد يحدث عن

[1] بغية الوعاة، السيوطي، م2: 233

[2] نفسه: 233

[3] مدارس نحوية و لغوية عربية و غربية، صبري ابراهيم السيد:14

أبي هريرة إلا و أنا أعلم صادق هو أو كاذب و كان كثير الحديث، قال الأعمش: سمعت من أبي صالح ألف حديث.[1]

ابن أبي إسحاق الخضرمي:

هو عبد الله بن أبي إسحاق مولى آل الخضرمي و هو خلفاء بن عبد شمس بن عبد مناف أخذ عن الأقرن و هو أول من بعج النحو و مد القياس و شرح العلل و كان مائلا إلى القياس في النحو[2] و كان بلال بن أبي بردة[3] جمع بين بن أبي إسحاق و أبي عمر بن العلاء بالبصرة، و هو يومئذ وال عليها –عمله خالد بن عبد الله القسري [4] زمان أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك رضي الله عنهما قال أبو عمر فغلبني ابن أبي إسحاق بالهمز يوئذ، فنظرت فيه بعد ذلك و بالغت [5] قال ابن سلام: سمعت أبي يسأل يونس عن ابن أبي إسحاق و علمه، فقال: هو و البحر سواء أي هو الغاية، قال: فأين علمه من علم الناس اليوم ! قال: لو لم يكن في الناس اليوم أحد لا يعلم إلا علمه يومئذ لضحك منه، كان فيهم من له ذهنه و نفاذه و نظر نظره لكان أعلم الناس، قال ابن سلام: فقلت أنا ليونس: هل سمعت من أبي اسحاق شيئا؟ قال: نعم، قلت له: هل تقول أحد "الصويق"؟ يعني السويق، قال: نعم، عمر و بن تميم تقولها، و ما تريد إلى هذا؟ عليك بباب من النحو يطرد و ينقاس.[6]

قال و كان ابن أبي اسحاق و عيسى بن عمر يطعنان على العرب قال ابن أبي عليهما:

---

[1] مدارس نحوية و لغوية عربية و غربية، صبري إبراهيم السيد14-15

[2] طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي:31

[3] هو هلال بن أبي بردة، قاضي البصرة و أميرها ولاة خالد القسري و لما عزله سنة 120ولي مكانه يوسف بن عمر الشقفي حاسب خالدا و نوابه و عذبهم و مات من غرابه بعد سنة 120 ابن خلكان المطبعة الميمنية بمصر 1310هـ، ج1 ص 243

[4] هو خالد بن عبد الله القسري، كان أمير العراقيين من قبل هشام بن عبد الملك الأموي قتل في أيام الوليد بن يزيد سنة 126، شنرات الذهب نشرة القدسي بمصر

[5] طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي: 31

[6] نفسه:32

مستقبلين شمال الشام –تضربنا بحاصب كنديف القطن منشور[1]

على عمائمنا يلقى و أرحلنا على زواحف تزجى، مخّها رير[2]

أسأت، إنما هو "مخًّها رير"[3] و كذلك قياس النحو في هذا الموضع قال يونس: و الذي قال جائر حسن، فلما ألحوا على الفرزدق قال:

"على نواحف تزجيها محاسير"[4]

فترك الناس هذا و رجعوا إلى الأول.

و في ابن أبي اسحاق يقول الفرزدق يهجوه:

فلو كان عبد الله مولى هجوته و لكن عبد الله مولى موالينا[5]

و كان ابن أبي اسحاق يقرأ: { **يا ليتنا نردّ و لا نكذّبَ بآيَاتِ ربّنا و نَكون مِنَ المؤمنينَ** }[6] بالنصب.

و كان يقرأ: {**الزّانيةُ و الزّاني**}[7] {**و السّارقُ و السّارقةُ**}[8] بالنصب و خلاف ما قرأ به القراء

---

[1] من قصيدة في ديوانه 262، خزانة الأدب، البغدادي بولاق 1299هـ، 115/1 الشمال: الريح البارة، و جملة "تضربنا" حال منها و الحاصب: ماتناثرنا من رقاق البرد و الثلج.

[2] الزواحف: الإبل التي أعيت و أنضاها السفر، يقال: زحف البعير، إذا أعيا فرسه أي خفه و الازجاه: السوق

[3] الرير و الرار: المخ الذي قد ذاب في العظم، حتى كأنه ماء.

[4] محاسير: جمع محسور، و هو المجهد المتعب.

[5] المولى: الحليف، و الرجل إذا كان ذليلا، يوالي قبيلة و ينضم إليهم ليعتز بهم، و إذا والى مولى كان أذل ذليل، و أراد بالمولى الخضرميين، و كانوا مولى بن عبد شمس بن عبد مناف و البيت من شواهد سيبويه ج2 ص58، على أن بعض العرب يجر نحو "جوار" بالفتحة فيقول: مررت بجواري، كما قال الفرزدق: "مولى موالي" بإضافة "موالى" إلى "مولى" و الألف للإطلاق و جمهور العرب يقول: "مررت بجوار و مولى و موال بحذف الياء و التنوين في الجر و الرفع أما في النصب فلا تحذف الياء، تظهر الفتحة عليها نحو رأيت جواري، ينظر، خزانة الأدب، البغدادي 115/1

[6] سورة الأنعام، الآية: 27

[7] سورة النور، الآية:02

[8] سورة المائدة، الآية 38، و هي قراءة شاذة في هذه الآية و التي قبلها ينظر شواذ القراءات، ابن خلوية، المطبعة الرحمانية 1924م: 32

و أخذ على الفرزدق شيئا[1] في شعره، فقال: أين هذا الذي يجر نصبه في المسجد؟ ألا يصلحه! يعني ابن أبي اسحاق.

و توفي ابن أبي اسحاق سنة سبع عشرة و مائة.[2]

ابن هرمز:

ابن أبي سعد قال: حدثنا أحمد بن سعد بن ابراهيم الزهري، قال: حدثنا يحي بن أبي بكير [3] بكير[3] قال: حدثنا عبد الله بن لهيعة[4]، عن أبي النضر[5] قال: كان عبد الرحمان بن هرمز من أول أول من وضع العربية و كان من أعلم الناس بالنحو و أنساب قريش، قال محمد: و ابن هرمز مدني، فذكرناه ها هنا لتقدمه، و يروي أن مالكا اختلف أي ابن هرمز عدة سنين في علم لم يبثه في الناس، يرون أن ذلك من علم أصول الدين، و ما يرد به مقاله أهل الزيخ و لضلالة[6]

يلقب بالأعرج، و هو من القراء التابعين أخذ القراءة عن أبي هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أخذ عن عبد الرحمان بن هرمز نافع بن أبي النعيم إمام أهل المدينة و أحد القراء السبعة المشهورين[7] و جعله البخاري من الرواة الثقات و المعتد بهم في الرواية فقال: "أصح أسانيد أبي هريرة أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه".[8]

---

[1] هو قوله: "فلو كان عبد الله..." روى ابن الأنباري أنه حينما سمعه قال له: "لقد كنت في قولك: "مولى مواليا"، و كان ينبغي أن نقول: "مولى موال"

[2] الزبيدي، طبقات النحويين و اللغويين، ص33

[3] هو يحي ابن أبي بكير العيدي قاضي كرمان، يروى عن شعبته و إسرائيل طائفة وثقته ابن معين و العجلى، و مات سنة208 خلاصة تزهيب الكمال، الخزرجي، المطبعة الرحمانية بمصر1322هـ-3620

[4] هو عبد الله بن لهيعة الخضرمي أبو عبد الرحمان المصري، قاضيها و عالمها مات سنة174، نفسه: 179.

[5] هو سالم بن أبي أمية المدني روى عن أنس و السائب و سعيد بن المسيب و روى عنه ابن جريج و الليث، مات في خلافة مروان بن محمد سنة 129 تهذيب التهذيب ابن حجر، مطبعة المعارف بحيدر آباد سنة 1325هـ 42

[6] توفي عبد الرحمان بن هرمز سنة 117، إنباه الرواة، القفطي، تح محمد أبو الفضل ابراهيم مطبعة دار الكتب الأنساب للسمعاني ليدن 1912 م، 172/2.

[7] طاش كبرى زاد، مفتاح السعادة: 27/2.

[8] نفسه: 131/2

و الناظر في قراءاته يجدها لم تخرج عن سنين النحو العربي فهي من الناحية اللغوية و النحوية سليمة لا يتسرب إليها الضعف، أما من ناحية الرواية و السند فقد تلقاها العلماء بالقبول و أكدوا صحتها و دعموا الأخذ بها و احتجوا لها في مجال الأسلوب الصحيح القائم على التزام النحو و العربية[1].

يحيى بن يعمر (ت 129 هـ):

هو يحيى بن يعمر[2] رجل من عدوان، و كان عداده في بني لبث، و قد تدعى هذيل أن يحيى يحيى بن يعمر حليفهم –و كان مأمونا عالما– يروى عنه لفقه.[3]

و روى عن ابن عمرو و ابن عباس رحمهما الله، و غيرهما، و روى عنه قتادة و إسحاق بن سوعيد العدوي و غيرهما من العلماء.

عيسى بن عمر الثقفي:

هو مولى خالد ابن الوليد المخرومي نزل في ثقيف و أخذ عن ابن أبي اسحاق كان يطعن على العرب قال عيسى بن عمر: أساء النابغة في قوله:

فبتّ كأني ساورتني ضَئيلة من الرّقشِ في أنيابها السمُّ ناقِعُ[4]

و يقول وجهه أن يكون: "السُمّ نا قعًا" و كان عيسى بن عمر يختار "السمّ و الشّهدُ" بالضمو هي علوية[1] و كان يقرأ: { **هؤلاء بناتي هنّ أطهرُ لكم** }[2]و هذا مخالف لما قاله النحويون

---

[1] مدارس نحوية، التواتي بن التواتي، دار الوعي للنشر و التوزيع: 21

[2] يعمر ضبطه بن خلكان "بفتح المثناة من تحتها و الميم و بينهما عين مهملة و في الأخير راء و قيل بضم الميم و الأول أصح و أشهر".

[3] طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي:27

[1] ديرانه ص51، ساورتني: واثبتني، و ضئيلة: دقيقة قليلة اللحم، و الرقش: جمع رقشاء و هي التي فيها نقط سود و بيض، و النافع: الثابت أو القائل، و روى سيبويه هذا البيت في الكتاب 26/1 شاهدا على الغاء الفراق إذا تقدم و يكون "السم" مبتدأ و "نافع" خبرا

النحويون أجمعون و لما قرأت به القرأة، و أنكرها أبو عمرو بن العلاء عليه، فقال: كيف تقول: هؤلاء بني، هم ماذا؟ فقال: عشرين رجلا فأنكرها أبوا عمروا[3]

و كان عيسى و أبو عمرو يقرءان: { **يا جبال أوّبي معه و الطّيرَ** }[4] بالنصب و يختلفان في التأويل كان عيسى يقول: هو على النداء كما تقول: يا زيدو الحارث و يختلفان في التأويل، كان عيسى يقول: هو على النداء لكان وفعا و لكنها على اضمار، "و سخرنا الطير" لقوله على إثر هذا: {**و لسليمان الرّيحَ**}.[5]

و كان عيسى بن عمر صاحب تقعير في كلامه و استعمال الغريب فيه و في قراءته و ضر به عمر بن هريرة[6] فكان يقول: و الله إن كانت إلا أثيابا في أسيفاط قبضها عشاروك.[7]

و كان كما ذكرنا آنفا بتفكير في كلامه حكى عنه الجوهري في الصحاح و غيره أنه سقط عن حمار فاجتمع إليه الناس فقال: مالي أراكم تكأكأتم علي كتكأكئكم علي ذي جنة افرنقنوا عني[8]

كان ثقة عالما بالنحو و القراءة و كان فصيح اللسان يتشدق في كلامه (أي يتكلم بملء شدقية) و يعدل عن الألفاظ الحوشية الغريبة و ألق في النحو كتابين هما الجامع و الإكمال يقول ابن النديم: عيسى بن عمر الثقفي هو بصري من مقدمي نحوي البصرة و كان أخذ عن ابن أبي إسحاق و عنه أخذ الخليل بن أحمد و كان ضريرا و من قراء البصرة له كتاب الجامع و الإكمال أو المكمل أنشدنا القاضي أبو سعيد –رحمه الله– للخليل يذكر عيسى بن عمر و الكتابين:

---

1 علوية: منتوبة إلى العالية –على غير قياس– و العوالي: أماكن بأعلى المدينة

2 سورة هود الاية 78 و النصب هذه القراءة على الحال و لفظ "هن" عماد، ينظر: تفسير القرطبي، طبع دار الكتب المصرية: 76/9

3طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي: 41

4سورة سبأ الاية10

5سورة سبأ الآية:12

6 هو عمرو بن هبيرة بن سعد ولي العراقيين لزيد بن عبد الملك ست سنين و كان يكنى أبا المثنى، و أولاده يزيد و سفيان و عبد الواحد ابن قتيبة المعارق تح الدكتور ثروت عكاشة مطبعة دار الكتب: 179

7 أسيفاط: تصغير أسفاط جمع سفط بفتحتين و هو كاجوالف و العشار: قابض العشر للزكاة

8 بغية الوعاة، السيوطي، مجلد : 02: 238

بطلَ النّحو الّذي جمعتم غيرَ ما ألّف عيسى بن عمر

ذاك إكمالٌ و هذا جامعٌ و هما للنّاس شمسٌ و قمر

و قد فقد الناس هذين الكتابين من المدة الطويلة و لم يقع إلى أحد علمناه و لا خير أحد أنه رآهما[1] و مدح الخليل بن أحمد لهذا الرجل يدل على علو مقامه عنده و تبنى على مكانته العلمية و فضله، و لا يعرف الفضل إلا صاحب الفضل.

و يقال: أن له نيفا و سبعين مصنفا ذهبت كلها، مات سنة سبع و أربعين –و قيل سنة خمس– و مائة.[2]

أبو عمرو بن العلاء (ت :

اسمه كنيته، و في بعض الروايات اسمه ربان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين التيمي المازني[3]

و هو بصري أخذ عن ابن أبي إسحاق و كان أوسع علما بكلام العرب للغاتها و غريبها من عبد الله بن أبي إسحاق و كان من جلة القراء و الموثوق بهم كان يقرئ الناس القرآن في مسجد البصرة و الحسن بن أبي الحسن [4] حاضر قال يونس: لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله كله في شيء واحد لكان نبنى لقول أبي عمرو أن يؤخذ كله و لكن ليس من أحد إلا و أنت آخذ من قوله و تارك.[5]

[1] الفهرست ابن النديم، القاهرة، 1348هـ: 68،69

[2] بغية الوعاة، السيوطي،المجلد: 238

[3] طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي:35

[4] هوالحسن بن أبي الحسن البصري أبو سعد إمام أهل البصرة كان جامعا عالما رفيعا فيها حجة مؤمونا عابدا تاكسا كثير العلم فصيحا توفي سنة 110، شذرات الذهب ابن عماد الحنبلي: 136/1

[5] طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي:35

قال: و كان أبو عمرو يسلم للعرب و لا يطعن عليها و في أبي عمرو بن العلاء يقول الفرزدق[1]:

مازلت أفتح أبوابًا و أغلقها حتّى أتيت أبا عمرو بن عمار

و أخافه الحجاج بن يوسف فكان يتستر قال: فخرجت في الغلس أريد التنقل من الموضع الذي كنت فيه إلى غيره فسمعت منشدا ينشد:

ربّما تكره النفوس من الأمـ رِ له فرجةٌ كحلّ العِقالِ[2]

حماد بن سلمة البصري:

حدثنا أحمد ابن سعيد قال: حدثنا العناتي قال: حدثنا ابراهيم بن محمد حدثنا أحمد بن سلمة قال: كان حماد بن سلمة يمر بالحسن البصري في المسجد الجامع فيدعه و يذهب إلى أصحاب العربية يتعلم منهم.[3]

و روى ابن عائشة[4] قال: قال يونس بن حبيب: أول من تعلمت منه النحو حماد بن سلمة.[5]

هو أبو سلمة مولى آل ربيعة بن مالك و قيل مولى غيرهم و ابن أخت حميد الطويل إمام في الحديث و إمام في النحو، سمع عن أبي مليكة و أنس بن سيرين و محمد بن زياد القرشي و عبد الله بن كثير الداري المقرئ و أبي عمران الجوني و يعلى بن عطاء و حدث عنه ابن جريح و ابن المبارك و يحي القطان روى الحروف عن عاصم بن أبي النجود و ابن كثير المكي و أخذ عنه الحروف حرمي

---

[1] نفسه:35

[2] البيت في اللسان (ف رج) و نسبه لأمية ابن أبي الصلت، و ذكر قبله:

لا تضقن في الأمور فقد تكـ شف غماؤها بغير احتيال

[3] طبقات النحويين و اللغويين الزبيدي:51

[4] هو عبد الله بن محمد بن حفص المعروف بابن عائشة الأمة من ولد عائشة بنت طلعة توفي سنة 228 تهذيب التهذيب ابن حجر: 46/7

[5] طبقات النحويين و اللغويين الزبيدي: 51

بن عمارة و أبو سلمة التبوذكي، كان مع إمامته في الحديث إماما كبيرا في العربية فقيها فصيحا رأسا في السنة صاحب تصانيف.[1]

الخليل بن أحمد الفراهيدي:

هو أبو عبد الرحمان بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي و كان يونس يقول: القرهودي مثل فردوس و هو حي من الأزد و لم يسم أحد بأحمد بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل والد الخليل و كان الخليل ذكيا فطنا شاعرا و يستنبط من العروض و من علل النحو ما لم يستنبط أحد و ما لم يسقه إلى مثله سابق[2] و هو القائل:

اعمل بعلمي و لا تنظر إلى عملي ينفعك علمي و لا يضرّك تقصيري

و كتب إلى سليمان بن علي الهاشمي [3] يستدعيه إلى صحبته و يعث إليه بطرف و كسا و مال و فاكهة فقبل الفاكهة و صرف ما سوى ذلك و كتب إليه

أبلغ سليمان أنّي عنه في سعةٍ و في غنى غير أنّي لست ذا مالٍ

سخّى[4] بنفسي أني لا أرى أحدا يموت هزلا[5] و لا يبقى على حال

فالرزق على قدر لا العجز ينقصه و لا يزيدك فيه حول محتالِ

و الفقر في النّفس لا في مال تعرفه و مثل ذاك الغني في النّفس لا المال

و المال يغشى أناسا لا أصول لهم كما تغشى أصول الدندن البالي[6]

---

[1] مدارس نحوية و لغوية عربية و غربية، صبري ابراهيم السيد :17

[2] طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي:47

[3] في انباه الرواة244/12: "و وجه اليه سليمان بن حسيب بن المهلب من السند يستزير"

[4] يريد أن نفسه كريمة لا تتعلق بحال

[5] هزلا: فقرا

[6] الدندن: أصول الشجر

قال: و نظر في النجوم فأبعد النظر ثم لم يرض بذلك فقال:

أبـلـغـا المنـجـم أنـّي كافر بالذي قضته الكواكب

عالم أنّ ما يكون و ما كـا نَ بحتم من المهمن واجب

شاهد أنّ من يفوّض أو يجـ بر زار على المقادير كاذب

و هو القائل: و أكثر الناس يرونه للأخطل:[1]

و إذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخرًا يكون كصالح الأعمال[2]

و قال الخليل: تربع الجهل بين الحياء و الكبر في العلم و قال: نوازع العلم بدائع، و بدائع العلم مسارح العقل و من استغنى بما عنده جهل و من ضم إلى عمله غيره كان من الموصوفين بنعت الربانيين.[3]

و قال الخليل: وجدت في بعض كتب العلماء: من أظهر حياء في التماس العلم و قعد عنه ليس الجهل، و تقنع السفه و من امتدت له أيامه في غلواء جهله حشر يوم القيامة أعمى و قال: إني أدركت بعض ما أنا فيه من العلم باطراح الحشمة بيني و بين المعلمين و بألقائي الستر بيني و بين الذي كنت ألمست ما عندهم و من رق وجهه عن طلب العلم رق علمه و وجدت الرقة في التماس العلم سفها يدعوا إلى سفاه[4] و كل يدعوا إلى ضلال.[5]

---

[1] طبقات النحويين و اللغويين الزبيدي:48

[2] ديوان الأخطل بيروت سنة 1891م:158

[3] الربانيين: العلماء، قيل هم مستويون إلى الرب الذي هو مصدر العلم

[4] السفاه: السفه

[5] طبقات النحويين و اللغويين الزبيدي:48

و توفي الخليل رحمه الله سنة سبعين و مائة و قالوا سنة خمسي و سبعين و هو ابن أربع و سبعين سنة.[1]

الأخفش الكبير: (ت177هـ)

هو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد أخذ عنه يونس وروى عن أبي الخطاب أنه قال: لا أقول جثة الرجل إلا لشخصه على سرج أو رحل، و يكون معمما و لم تسمع من غيره.[2]

و حكى ابن درير عن أبي الخطاب أنه قال: الخفخوف [3] طائر قال: و لم يذكره أحد من أصحابنا.[4]

و هو مولى قيس بن ثعلبة أحد الأخافش الثلاثة المشهورين و سادسا الأخافش الأحد عشر المذكورين في هذه الطبقات[5]كان إماما في العربية قديما، لقي الأعراب و أخذ عنهم و عن أبي عمرو عمرو بن العلاء و طبقته أخذ عنه سيبويه و الكسائي و يونس و أبو عبيدة و كان دينا و رعا ثقة و

[1] طبقات النحويين و اللغويين الزبيدي:51

[2] طبقات النحويين و اللغويين الزبيدي:40

[3] في اللسان (خ ف ف) عن المفضل: "الخفخوف: الطائر الذي يقال له الميساق، و هو الذي يصفق بجناحيه إذا طار"

[4] نفسه: 40

5 الدرر الكامنة، ابن حجر، حيدر آباد سنة 1348هـ، ج233/2

هو أول من فسر الشعر تحت كل بيت و ما كان الناس يعرفون ذلك قبله، إنما كابوا إذا فرغوا من القصيدة فسروها.[1]

سيبويه:

هو عمرو بن عثمان بن قنبر[2] مولى بني الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد، أخذ عن الخليل.

قال أبو علي البغدادي: ولد سيبويه بقرية من قرى شيراز يقال لها: البيضاء من عمل فارس ثم قدم البصرة ليكتب الحديث فلزم حلقة حماد ابن سلمة فبينا هو يستملي على حماد قول النبي صلى الله عليه و سلم: "ليس من أصحابي إلا من شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء" [3]فقال سيبويه: "ليس أبو الدرداء"و ظنه اسم ليس فقال حماد: لحنت يا سيبويه ليس هذا حيث ذهبت و إنما "ليس" "هاهنا استثناء، فقال: سأطلب علما لا تلحنني فيه فلزم الخليل فبرع.[4]

قال عبيد الله بن معاذ العنبري البصري: جاء سيبويه إلى حماد بن سلمة فقال: أحدثك هشام بن عروة عن أبيه في رجل رعف في الصلاة؟ فقال حماد: أخطأت: إنما هو رعف فانصرف إلى الخليل فشكا إليه ما لقيه من حماد فقال: صدق حماد و مثل حماد يقول هذا و رعف لغوة ضعيفة و الصحيح رعف.[5]

و توفي و هو ابن ثلاث و ثلاثين سنة، سنة ثمانين و مائة.[6]

يونس بن حبيب:

1 بغية الوعاة، السيوطي ، 74:02

2 قنبر ضبطه ابن ماكولا بفتح القاف و سكون النون و فتح الباء و ضبطه صاحب تاج العروس بضم ثم فتح و سكون

3 اسمه عويمد بن عامر توفي سنة 36 في خلافة عثمان ينظر ابن عبد البر الاستيعاب تح علي محمد البجاوي مطبعة نهضة مصر، ص243

4 طبقات النحويين و اللغويين ،الزبيدي:66

5 نفسه66

6 نفسه:72

هو أبو عبد الرحمان الضبي، مولى لهم و كان من أهل جبل [1]أخذ عن أبي عمرو و كان النحو أغلب عليه قال ابن عائشة: قال يونس بن حبيب أول من تعلمت منه النحو حماد بن سلمة و عاش ثمانية و ثمانين سنة و دخل المسجد و هو يهادى بين اثنين من الكبر فقال له رجل كان تهمه على مودته: بلغت ما أرى يا أبا عبد الرحمان ! قال: هو الذي ترى فلا بلغته [2] و قال أبو الخطاب زياد بن يحيى[3]قال أبو عبيدة: لم يكن عند يونس علم إلا ما رآه بعينه و قال أبو الخطاب: مثل يونس كمثل كوز ضيق الرأس لا يدخله شيء إلابعسر فإذا دخله لم يخرج منه – يعني لا ينسى[4]

و قال ابن سلام عن أبي زيد النحوي: ما رأيت أبذل لعلم من يونس.[5]

و لما مات سيبويه قيل ليونس: إن سيبويه ألف كتابا من ألف ورقة في علم الخليل فقال يونس: و متى سمع سيبويه من الخليل هذا كله؟ جيئوني بكتابه فلما نظر في كتابه و رأى ما حكها قال: يجب أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل فيما حكاه كما صدق فيما حكى عني.[6]

و قال أحمد بن يحيى: يقال أن يونس جاوز المئة و كان قد تفرع [7]من الكبر، و يقال: قارب المئة.[8]

قال السيرافي: بارع في النحو من أصحاب أبي عمرو بن العلاء سمع من العرب و روى عن سيبويه فأكثر و له قياس في النحو و مذاهب يتفرد بها سمع منه الكسائي و الفراء و كانت له حلقة بالبصرة ينتابها أهل العلم و طلاب الأدب و فصحاء الإعراب و البادية.[9]

---

[1] جبل: بفتح الجيم و تشديد الباءو ضمها بلدة بين النعمانية و واسط ياقوت الحمودي معجم البلدان مطبعة السعادة 1326ه

[2] طبقات النحويين و اللغويين ،الزبيدي:51

[3] هو زياد بن يحيى بن أبو الخطاب ذكره ابن حيان في الثقات توفي سنة 254 ابن حجر تهذيب التهذيب ج3/389،388

[4] طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي:52

[5] نفسه:52

[6] نفسه:52

[7] الفرع: عوج و ميل في المفاصل كلها، خلقة أو داء

[8] نفسه:53

[9] بغية الوعاة ، السيوطي م2: 365

و عنه أنه قال: قالي رؤية بن الحجاج: حتام تسألني عن هذه البواطيل و أزخرفها لك ! أما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك!انتهى.[1]

قال غيره: قارب يونس تسعين سنة و لم يتزوج و لم يتسر مولده سنة تسعين و مات سنة اثنتين و ثمانين و مائة.[2]

[1] بغية الوعاة، السيوطي، م2 ص365

[2] أخبار النحويين و البصريين، السيرافي، المطبعة الكاثوليكية بيروت 1936: 32،33

المبحث الأول: نشأة النحو و تدرجه

نشأ النحو أول أمره صغيرا شأن كل كائن، فوضع أبو أسود منه ما أدركه العقل، و نقذ إليه تفكيره ثم أقره الإمام على ما وضعه و أشار عليه أن يقتفيه فقام بما عهد إليه خير قيام و لم يهتد بحث العلماء إلى يقين فيما وضعه أبو الأسود أولا على ما سلف تفصيلا و كانت هذه النهضة الميمونة بالبصرة التي كان أهمها ميل بالطبيعة إلى الاستفادة من هذا الفن اتقاء لوباء اللحن الزاري بصاحبه و بخاصة الم والي الذين كانوا أحوج الناس حينئذ إلى تلقي هذا العلم رغبة منهم في تقويم لسانهم و تخليصه من رطانة العجمة، و حبا في معرفة لغة الدين الذي اعتنقوه، و طمعا في رفع قدرهم بين العرب، فصدقت عزيمتهم في دراسته و التزيد منه، و ما انفكوا جادين فيه بعدئذ حتى نبغ منهم كثير قاموا بأرقى قسط في هذا العلم و قادوا حركته العلمية، قال المبرد: "مر الشعبي بقوم من الموالى يتذاكرون النحو فقال لئن أصلحتموه إنكم لأول من أفسده". [1]

فكان منهم علماؤه المبررون دراسة و تأليفا حتى أشير إليه ردحا من الزمن أنه علم الموالي[2]

فلأبي الأسود الفضل الوافر في بدأ الدرس الذي نما و ترعرع و ازدهر على كر الزمان بإضافة اللاحق إلى السابق ما استدركه و ما ابتدعه فازداد فيه التدريب و التصنيف شيئا فشيئا غير أن هذا العلم لم تطل عليه الأيام كسائر الفنون فاكتمل وضعه قبلها، و الباحث على النشاط فيه و السرعة شعور العرب بالحاجة إليه قبل كل علم، فإن الفتوحات الإسلامية متوالية في الأمصار، و العرب متدفقون عليها، و الامتزاج مستحكم بينهم و بين من دخلوا في حوزتهم و عثير اللحن منتشر أقذى الأبصار فهب العلماء لا يلوون على شيء متكمش في تدوينه، فكان يسير بخطى فسيحة تبشر

[1] الكامل، أبو العباس العباس المبرد (ت285هـ)، و رغبة الأمل، المرصفي (ت 1349هـ).

[2] نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة ،محمد الطنطاوي: 34.

بالأمل القوي العاجل حتى نضج و دنا جناه، فتم وصفة في العصر الأموي من دون سائر العلوم اللسانية.[1]

و لقد تلمسنا تعرف المراحل التي اجتازها هذا العلم طبقا لنواميس النشوء، فلكل علم أطوار يمر بها كما يمر الحي بأطوار الحياة، وليدا و نشئا و شابا و كهلا في كثير من الكتب التي يخال فيها التعرض لذلك، فما وفقنا على ما يشفي الغلة و ينير السبيل، فلاح لنا بعد انعدام الفكرة و إطالة النظرة أن نجعل الصفة بين هذه المراحل و العلماء القائمين بأمر هذا الفن إذ كان على أيديهم ما نقله من طور إلى آخر.[2]

و من هنا نستطيع القول أن اللغة العربية كانت قد مرت بمراحل من الاضطراب و عدم الاستقرار ثم جاءت الضوابط المتبعة في الأداء لتسلك طريقا طبيعيا في التكوين، فكانت تلك الضوابط أول الأمر بسيطة غير مطرة، لكن مع مرور الأيام أتيح لها النمو و الانتشار و تستقر في النفوس على وجه يجعلها ملكة و من الشواهد النحوية على الخطأ في اللغة العربية في مراحلها الأولى قبل أن تنضج، إهمال الإعراب الممثل بحذف النون من المثنى من غير إضافة في قول الشاعر:

هما خطتا إما إسار و منة و إما دم و القتل بالحر أجدر[3]

و المراد خطتان.

والجدير بالذكر أن النحو اكتمل وضعه قبل سائر العلوم، و ذلك لشعور العرب بالحاجة الماسة إليه لدرء الخطر المتفشي على الألسنة، و قد تم وصفه كما ذرنا آنفا في العصر الأموي، لأن اللغة العربية بعد قيام الدولة الأمية لم تعد لغة تخص العرب داخل جزيرتهم، بل أصبحت لغة لدولة

[1] نفسه: 35.

[2] المرجع نفسه:35.

[3] البحث اللغوي عند العرب، عمر مختار عالم الكتب القاهرة، ط4،1402، 1982: 80-81.

ناشئة قوية، قامت على أنقاض دولتين كبيرتين هما دولتا الفرس و الروم، و قد نتج من الفتوحات تدفق للوالي إلى الجزيرة العربية حتى و جدوا أنفسهم أحوج الناس إلى تلقي النحو.[1]

و هكذا أصبحت اللغة العربية بعد قيام الدولة الأموية لغة دولية يتسابق العرب و الموالي لفهمها، بعد انتشارها و تعاظم نفوذها باعتبارها لغة دين هو الإسلام، لذلك لا عجب على الإطلاق أن يوضع النحو في تلك المرحلة بعد أن نضج و دنا جناه، لدرء خطر اللحن عن القرآن الكريم.[2]

و ما استهل العصر العباسي [3] إلا و هو يدرس دراسة واسعة النطاق في العراقيين (البصرة و الكوفة) و عمل و أوفى على الغاية في بغداد و لما ينقض العصر العباسي الأول و ذلك قبل تمام القرن الثالث الهجري.[4]

يعد هذا التمهيد، نستعرض الآن أهم المراحل التي مرت بها نشأة النحو:

المبحث الثاني: مرحلة الوضع و التكوين

يعد التمهيد لنشأة النحو بصورة عامة، نمر إلى البحث في تطوره و المراحل التي مر بها مبتدئين بالمرحلة الأولى التي تمثل مرحلة الوضع و التأسيس الأول لهذا العلم.

هذا الطور من عصر واضع النحو أبي الأسود[5] أي في النصف الأول من القرن الأول للهجرة إلى أول عصر الخليل بن أحمد في الربع الأخير من القرن الثاني للهجرة، و في هذه المرحلة كان النحو قد تم وضعه، و كان ذلك في عهد بني أميه.[6]

---

[1] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل الشامي: 70.

[2] النحو العربي و مناهج التأليف، عوض شعبان، منشورات جامعية قاريونس ليبيا دط، 1929، 1410هـ: 89.

[3] يبدأ العصر الأموي من سنة (41هـ-132هـ) و العصر العباسي من (132هـ-656هـ).

[4] نشأة النحو، محمد الطنطاوي: 35.

[5] نشأة النحو محمد الطنطاوي:37.

[6] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره أحمد جميل الشامي: 71.

و قد استأثرت البصرة بهذه المرحلة إذ لها فضل كبير في وضعه و تعهده في نشأته، في حين كانت الكوفة مشغولة عنه برواية الأشعار و الأخبار و النوادر و الملح حوالي مائة سنة.[1]

اشتغل فيه طبقتان من البصريين بعد أبي الأسود حتى تأصلت أصول منه كثيرة و عرفنا بعض أبوابه.[2]

فإن الطبقة الأولى التي أخذت عن أبي الأسود استمرت في تثمير ما تلقته عنه، و وقفت إلى استنباط كثير من أحكامه، و قامت بقسط في نشره و إذاعته بين الناس و كان من أفذاذ هذه الطبقة عنيسة بن معدان الفيل، و نصر بن عاصم الليثي،و عبد الرحمان بن هرمز و يحي بن يعمر العدواني و لم يدرك أحد من رجال هذه الطبقة الدولة العباسية و يغلب على الظن أن تكون من نحو هذه الطبقة –فضلا من قلة– كان شبه الرواية للمسموع، فلم تنبت بينهم فكرة القياس و لم ينهض ما حدث في عهدهم من أخطاء إلى إحداث ثغرة خلاف بينهم لقرب عهد القوم بسلامة السليقة كذلك لم تقو حركة التصنيف بينهم، فلم يؤثر عنهم إلا بعض تنف في مواطن متفرقة من الفن لم تبلغ حد الكتب المنظمة، إذ كان جل اعتمادهم على حفظهم في صدورهم و رواياتهم بلسانهم و زعم بعض المؤرخين أن أستاذها أبا الأسود قد وضع مختصر على ما تقدم بيانه.[3]

و قد جاء في بعض المصادر الحديثة، أن نصر بن عاصم الليثي و يحي بن يعمر، قاما باعجام حروف القرآن الكريم كالجيم و الخاء و الغين بالنقط الدفع التصحيف، و تمييزا لتلك الحروف المعجمية من الحروف المهملة و ذلك بأمر من الحجاج بن يوسف بعد إعجام القرآن بالشكل من قبل أبي الأسود لدفع التحريف و المعلوم أن عمل أبي الأسود كان يسمى نقط الإعراب، و عمل تلاميذه المشار إليهم نقط الإعجام لتمييز بعضها بعض.[4]

---

[1] الوسيط في تاريخ النحو العربي، الأسد عبد الكريم محمد، دار الشواف–الرياض، ط1 – 1413هـ 1992م، ص: 34.

[2] نشأة النحو، محمد الطنطاوي: 37.

[3] نشأة النحو، محمد الطنطاوي: 38.

[4] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل شامي:71.

أما الطبقة الثانية التي كانت أكثر عددا من سابقتها فقد كانت أوفر منهم حضا في هذا الشأن، إذ وطأت لها سبيله، فازدادت المباحث لديها، و أضافت كثيرا من القواعد، و نشأت حركة النقاش بينهم، فجدت في تتبع النصوص و استخراج الضوابط ما هيأ لها وقتها، و استطاعت التصنيف، فدونت فيه بعض كتب مفيدة و كان من المشار إليهم فيها عبد الله بن أبي إسحاق الخضرمي الذي يقول فيه أبو الطيب: "و كان يقال عبد الله على أهل البصرة و أعقلهم ففرع النحو و قاسه".[1]

و مع مرور الأيام أخذ النحو في مرحلة الوضع يتناول عددا من المسائل، كمسألة خطأ يقع فيه قائل فيرد السامع العارف باللغة هذا المخطئ إلى الصواب كقول الأعرابي "مات أبانا و ترك بنوه"[2]، أو مأخذ بنوهم بعضهم أن عربيا فصيحا وقع فيه فيحاولون أخذه به، فيأتي هذا الفصيح ليبين لهم وجه خطئهم و يرشدهم إلى الصواب.[3]

و بدأ النحو بهذه المرحلة، يتناول مسائل تتمثل بأسئلة عن ظبط معين أو عن إشمال خاص و كانت تلك الأسئلة توجه إلى من يحيط بأمور اللغة إحاطة واسعة فقد روي عن أبي الأسود أنه قال: " من العرب من يقول: لولاي لكان كهذا أو كذا... و يستوحى من هذا الخبر أن الكلام هو رد على سؤال وجه إلى أبي الأسود عن جواز استعمال الضمير بعد (لولا) فأجاب بأن ذلك جائز مستشهدا بالقول الآتي: و كم من لولاي طحت[4] كما هوى.[5]

---

[1] مراتب النحويين، أبو طيب اللغوي، مخطوط بالخزانة التيمورية رقم1025.

[2] أخبار النحويين البصريين، السيرافي: 17.

[3] النحو العربي قضايا و مراحل تطوره، أحمد جميل الشامي: 72.

[4] طحت بمعنى: تهت أي ضعت، القاموس المحيط، فيروز أيادي، فصل الطاء باب الحاء، 246.

[5] الكتاب، سيبويه، تح و شرح عبد السلام محمد هارون الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1397/1977هـ،م6 و الطبعة القديمة، 374/2، و البيت بكامله يكون: و كم موطن لولاي كما هوى بأجرامه من قلة النيق منهوي.

و بذلك يكون النحو قد خطا خطوة إلى الأمام، غير أن مدارسته في هذه المرحلة، قبل ظهور ابن أبي اسحاق الخضومي، طلت سائرة، على هذا النمط من دون تعليل أو شرح أو تفسير و من دون اللجوء إلى القياس.

و هكذا كانت مدارسة النحو من عصر علي و أبي الأسود و ما تلاه إلى الوقت الذي ظهر فيه عبد الله بن أبي إسحاق الخضرمي آراء و إجابات غير معللة أو مقيسة على الشائع الاستعمال في كلام العرب، و بظهور هذا العلم تطور النحو إذ ازدادت مسائله و مباحثه و أضيف عدد من القواعد، وجدت مناقشات بين العلماء حول بعض المسائل حين جد العلماء في تتبع النصوص و استخراج الضوابط، ثم دونت بعض الكتب ككتاب (الهمز) لابن أبي اسحاق الذي كان "أول من بئج النحو و مد القياس و شرح العلل، و كان مائلا إلى القياس بالنحو" [1] و ورد في أخبار النحويين و البصريين أنه: "أشد تجريدا للقياس، و كان أبو عمرو أوسع علما بكلام العرب".[2]

و كان ابن أبي إسحاق يمثل مع ابن أبي عقرب الطبقة الثالثة من البصريين و قد لمع نجمه و تألق بعد أن غلب أبا عمرو بن العلاء الذي قال: "فغلبني بن أبي إسحاق يومئذ بالهمزة فنظرت فيه يعد ذاك"[3] كذلك اعترف له المشاهير من العلماء كيوسن بن حبيب، فقال: "هو و النحو سواء، أي هو الغاية"[4] ثم سأل رجل يونس عن ابن أبي إسحاق، و علمه قال: "فأين علمه من على الناس اليوم؟ قال: لو كان في الناس اليوم من لا يعلم إلا علمه لضحك به، لو كان فيهم أحد له ذهنه و نفاذه، و نظر نظره كان أعلم الناس".[5]

[1] طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي: 27.
[2] أخبار النحويين و البصريين، السيرافي: 25.
[3] طبقات النحويين الزبيدي: 31.
[4] أخبار النحويين و البصريين، السيرافي: 26.
[5] المصدرين السابقين:26،31.

ومن المظاهر التي تشير إلى أن ابن إسحاق طور النحو في هذه المرحلة بروز فكرة التحليل و القياس عند هذا العبقري، و أشرنا آنفا إلى أنه أول من بعج النحو و القياس و شرح العلل.[1]

و خلاصة القول إن مرحلة الوضع و التكوين، كانت تمثل المدخل إلى النحو العربي بكل أبعاده و مسالكه، فلم ينقص هذا الطور حتى وفق العلماء إلى وضع الطائفة كبيرة من أصوله بعثتهم إلى التزيد فيها، فاختمرت بينهم فكرة التعليل التي كان أول متجه لها ابن أبي إسحاق كما أنه أول من نشط إلى القياس،و أعمل فكرة فيه و خرج مسائل كثيرة عليه، و وافقه عليه عيسى بن عمر و خالفهما بعض معاصيهما، فانفسح ميدان القول إلى هذا العلم و أنس الناس به، و تداولون في كتبهم التي كانت تساير روح هذا العهد، فقد كانت مزيجا من النحو و الصرف و اللغة و الأدب و ما إلى ذلك من علوم اللغة العربية لأن هذه الفروع كانت متداخلة آخرا بعضها بحجر بعض القرب الوشيحة بينها في الفرض و المقصد، فكان الأديب حينذاك نحويا صرفيا لغويا، و النحوي أدبيا لغويا صرفيا و هكذا.[2]

و مراعاة ما لبثت هذه العلوم تتفرع و راح يستقل بعضها عن بعض ابتداءا من أوائل المرحلة الثانية، فاشتهر بعض العلماء بالنحو و برز آخرون باللغة.[3]

[1] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل شامي: 74.

[2] نشأة النحو، محمد الطنطاوي 398.

[3] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل شامي: 78

المبحث الثالث: طور النشوء و النمو

إذا كانت مرحلة الوضع و التكوين، قد بدأت من عصر أبي الأسود الدولي، و انتهت أول عصر الخليل، فإن مرحلة النشوء و النمو، بدات من عهد الخليل بن أحمد البصري و أبي جعفر محمد ابن الحسن الرؤاسي الكوفي[1] .

إلى أول المازني البصري [2] و ابن السكيت الكوفي، [3] و الهداء و الحساني الكوفي (ت 189)[4].

و كما أشرنا آنفا إلى أن علماء هذه المرحلة الأولى، كانوا من البصريين، و لم يكن لعلماء الكوفة أي دور فيها، و ذلك لانصرافهم عن مدارسة النحو إلى رواية الأشعار و المليح و الأخبار مدة لا تقل عن مائة عام [5]، و قيل لانشغالهم عن كل ذلك بالفقه و وضع أصوله و مقاييسه و فتواه و بالقراءات و روايتها رواية دقيقة، ما جعلهم يخطون بمذهب فقهي هو مذهب أبي حنيفة[6].

أما في المرحلة الثانية، فقد تغير الأمر، إذ اشترك الكوفيون مع البصريين جنبا إلى جنب بالنهوض بهذا العلم، و نافسوهم في طلبه و الإقبال على تعلمه، و النظر في مشكلاته و مسائله و كثرة التأليف فيه، و ذلك للظفر بشرف هذا العلم، من خلال تلاقي علماء البصرة و الكوفة

---

[1] هو محمد بن الحسن بن أبي سارة الرؤاسي، أبو جعفر، نشأ بالكوفة، ثم جاء إلى البصرة و سمي بالروائي لكبر رأسه و هو أول من وضع من الكوفيين كتابا في النحو إسمه "الفيصل" و كان أستاذ الكسائي و الفراء و من تصانيفه: الإفراد و الجمع، بغية الوعاة، السيوطي في طبقات اللغويين و النحاة، تح محمد أبو فضل ابراهيم، دار الفكر، ط2، 1399هـ / 1979م،م2: 82.

[2] هو بكر بن محمد بن بقية بن حبيب أبو عثمان، ولد بالبصرة و نسب إلى بن مازن ،كان إماما في العربية و كان لا يناضره أحد إلا قطعه لقدرته على الكلام، و من تصانيفه : علل النحو، كتابين القرآن الكريم، و و تغاير كتاب سيويه و التصريف، توفي سنة 249هـ، بغية الوعاة، و السيوطي، ج463/1

[3] هو يعقوب بن إسحاق أبو يوسف بن السكيت، كان عالما بنحو الكوفيين و علم القرآن و اللغة و الشعر، له تصانيف كثيرة في النحو و معاني القرآن، و تفسير دواوين العرب توفي سنة 244هـ و اللغة بغية الوعاة، التيوطي: 349/02

[4] النحو العربي عماد اللغة و الدين، عبد الله أحمد جاد الكريم، مكتبة الأداب، القاهرة، ط1، 1422هـ/2002م 8، 37

[5] نشأة النحو، محمد الطنطاوي: 37

[6] المدارس النحوية، شوقي ضيفة 153

و طمعا بجوائز الخلفاء الذين جعلوا بغداد حاضرة للخلافة، و مرتادا للعلماء من الكوفيين و البصريين[1].

فهذا الطور مبدأ الاشتراك بين البلدين في النهوض بهذا الفن و المنافسة في الظفر بشرفه، فقد تلاقة فيه الطبقة الثالثة البصرية برياسة الخليل، و الأولى الكوفة بزعامة الرؤاسي، و كذا العهد بعدهما طبقتان من كل من البلدين، فوثب هذا الفن و وثبة حي بها حياة قوية أبدية بعد، و كان هذا الطور حريا أن يسمى طور النشر و النمو، و تقصد الآن بالنحو معناه العام الذي يشمل مباحث الصرف، لأن مباحث رجال الطور الماضي كانت متصرفة حول أواخر الكلمات كما عرف عنهم، بخلاف رجال هذا الطور فإنهم قد اتجهت أنظارهم إلى مراعاة أحوال الأبنية أيضا، فقد راعهم ما اعتروها من خطأ يجب درؤه، و ذلك أنهم ما حاولوا صوت الكلام من غوائل اللحن في أطرافه إلا ظنا به ألا ينهض بالإفادة المقصودتين منه، و رعاية أواخر الكلمات بقوانين النحو إن كفلت دفع اللحن عن الكلام، و أصلحت هيكله الصوري للتأدية العامة، فإن تلك التأدية لا تتم فيه إلا إذا شملت جواهر أجزائه التي يتقوم بها، و ما تأخرت ملاحظتها لهذا الحين إلا لقلة العثرات فيها بالإضافة إلى العثرات التي كانت تعترض الكلام في أواخر أجزائه و لأن الخطأ فيها لا يذهب بالمعنى المقصود للمتكلم كالخطأ أواخر الكلمات، كما لمست هذا في سبب وضع النحو.[2]

فمن هذا الحين ظهرت مباحث الصرف في طي كتب النحو و شغلت منها فراغا، و عم الأمرين اسم النحو و استمر هذا الاندماج طويلا من الزمن حتى تدوول في بعض كتبه المتأخرين و لذا عرف بعضهم النحو بأنه علم يعرف به أحوال الكلم العربية إفرادا و ترتيبا ليشمل الأمرين.

فالفراء يرى أن أصل (اللهم) "يا الله أمتا بخير"، و قد طرأ عليها الاختزال لكثرة دوراتها على لسانهم[3] في حين أن الخليل يرى أن الأصل (بالله) فحذفت (يا) ثم لزمتها الميم المشددة عوضا منها،

[1] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل شامي: 79

[2] نشأة النحو، محمد الطنطاوي: 41

[3] معاني القرآن، الفراء تح أحمد يوسف نجاتي، و محمد علي النجار، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ط1، 1955م 1375هـ،1/ 203.

و من ذلك (لن) التي أصلها في نظر الخليل (لا أن) فحذفت الهمزة تخفيفا و الألف لالتقاء الساكنين لكن الأصل في نظر الفراء (لا) و أبدلت الألف نونا فيها على نحو ما أبدلت ميما في (لم)[1].

ابتدأ النحو و أخذ العلماء في كتب النحو و مباحثه سمتا آخر غير ما اتجهوا إليه في الماضي على ما عرفت، و نشطوا في التقصي و الاستقراء للمأثور عن العرب، و في إعمال الفكر و الاستخراج القواعد، و كان مبعث ذلك النشاط هو التنافس البلدي الذي عرض إبان هذا الطور، فرام كل من أهل البلدين (البصرة و الكوفة) ظفرا هي الآخر، فالخليل – بعد أن جاب بوادي الحجاز و نجد و تهامة مواجها العرب في صحرائها مستمعا لأحاديثها – يعود إلى البصرة، و يستجمع كل ما سمع، و يشحذ ذهنه الحاد، و يفرغ للبحث عن لآلئ هذا الفن من بحر علمه العميق، حتى جمع أصوله، و فرّع تفاريقه، و ضم كل شيء إلى لفقه، و ساق الشواهد و علل الأحكام، و بلغ في ذلك غاية محمودة فأنت كل من سبقه، بيد أنه اكتفى عن تدوينه موسوعة فيه بطلبته الذين كان يملى عليهم، و ممن حمل الراية في البصرة مع الخليل بوتس إلا أنه قصر مجهوده على التلقي عنه، و نصب نفسه بالإفادة، فكانت له حلقات دراسية يؤمها القاضي و الداني من فصحاء الأعراب و أهل العلم، و كان له في النحو قيسة و مذاهب خاصة تفرد بها[2] .

تكون على يد الإمامية الخليل و من معه من البصريين، و الرواسي و من معه من الكوفيين الكل من البلدين مدرسة خاصة لها علم تنحاز إليه كل فرقة و تتابعتت الطبقات المتعاصرة من كلا البلدين[3].

و إذا كان النحو في هذه المرحلة، قد قفز قفزة نوعية في الازدهار و التطوير فمن هم العلماء البصريون الذين يعود لهم الفضل الكبير بالنهوض في هذا الفن؟ و ما الأعمال التي قاموا بها حتى لمعت أسمائهم في كتب المؤرخين؟[1].

---

[1] جمع الهوامع و شرح جمع الجوامع، السيوطي، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، ط1 دتالجزءات في مجلد واحد 03.

[2] نشأة النحو، محمد الطنطاوي:42.

[3] نشأة النحو، محمد الطنطاوي: 43.

المبحث الرابع: مشاهير علماء البصرة في المرحلة الثانية

نبدأ أولا بالمشاهير من البصريين الذين نشطوا بالنهوض بهذا العلم، و أول نجم تألق هو الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي تجلى نشاطه بالذهاب إلى البادية لمقابلة العرب هناك، و الاستماع إلى أحاديثهم و استجمع كل ما سمعه عنهم، ثم العودة إلى البصرة لي شحذ ذهنه، و يتعمق بدراسة هذا الفن كما ذكرنا سابقا، فحقق ذلك "في استخراج مسائل النحو و تصحيح القياس فيه... و عمل أول كتاب العين الذي به يتهيأ ضبط اللغة"[2].

و ليس بغريب أن يقوم الخليل بهذا العمل الجليل، فهو عالم ذكي فطن،و أول من استخرج العروض و حصر أشعار العرب بها، و استطاع أن يستنبط منها " و من علل النحو ما لم يستنبط أحد، و لم يسبقه إلى مثله سابق"[3] سئل ابن المقفع[4] عن الخليل فقال: "رأيت رجلا عقله أكثر من عمله"[5] و كان الناس يقولون: "لم يكن في العربية بعد الصحافة أذكى منه" [6] و يعد أول من جمع حروف المعجم في بيت واحد و هو:

صف خلق خودٍ كمثل الشّمس إذ بزغت يحظى الضجيج بها نجلاء مِعطارُ[7]

إن كل ما ورد في كتاب سيويه هو من الخليل، ورد في (أخبار النحويين و البصريين) أن الخليل أستاذ سيويه و عامة الحكاية في كتاب سيويه عن الخليل، و كل ما قاله سيويه: سألته أو قال من غير أن يذكر قائله فهو الخليل[8].

---

[1] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل الشامي: 82.

[2] أخبار النحويين البصريين، السيرافي: 38.

[3] طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي: 47، أخبار النحويين، السيرافي 38.

[4] هو عبد الله بن المقفع من أئمة الكتاب، أصله فارسي، ولد في العراق 106هـ، 724م و توفي سنة 42هـ/759م، و هو أول من عني في الإسلام بترجمة كتب النطق و ترجم عن الفارسية كتاب (كليلة و دمنة) و رسائله آية في الإبداع، الإعلام، الزركلي: 40/4.

[5] طبقات النحويين، الزبيدي: 40.

[6] بغية الوعاة، ج7، السيوطي: 1.

[7] نفسه، 558.

[8] أخبار النحويين البصريين، السيرافي: 40.

و بهذا يكون الخليل بن أحمد جمع أصول النحو، و فرع فروعه و ضرب المثل و ساق الدليل و علل الأحكام، فقد استطاع هذا العالم أن يكشف القوانين العربية في النحو و الصرف اكتشافا دقيقا، و بثها في رسائل نذكر منها: رسالة في معنى الحروف و رسالة في جملة آلات الإعراب و رسالة ثالثة في العوامل و رابعة سماها "شرح صرف الخليل" يعتقد أنه أودع فيها أبنية أحكام العرب المستعمل و المهمل على مراتبها الأربع من الثنائي البالغ سبعمائة و ستة و خمسين ألفا و الثلاثي البالغ تسعة عشر ألفا و تسع مائة و خمسين، و الرباعي و الخماسي البالغين مئات الألوف من الأبنية [1] بالإضافة إلى تلك المسائل النحوية مبثوثة في مطاوي الكتاب.[2]

و إذا كان عبد الله بن أبي إسحاق الخضرمي و عيسى بن عمر، قد سقا الخليل في وضع مسائل صرفية و مباحث لغوية فإن الخليل قد خطى خطوات واسعة بعدهما في النحو و الصرف، إذ وضع قواعدهما و أركانهما، و شاد صرحها و وضع المصطلحات لهما و شعب فروعها بعد أن ورث هذين العلمين الساذجين عن أسلافه، و ما زال بهما حتى استويا في صورتهما التي ثبتت على الزمن ثم جاء بعده سيبويه ليعمل ما خطط و ما رسم من أصول النحو و التصريف و قواعدهما و من المصطلحات و الأبواب النحوية التي كانت تدور في محاوراته مع تلميذه سيبويه: المبتدأ و الخبر، كان و أخواتها، إن و أخواتها، الأفعال اللازمة، و المتعدية، الفاعل و المفاعيل، تصريف الأفعال، المقصور و الممدود و المهموز، المذكر و المؤنث، المعرب و المبني [3] و غير ذلك من المصطلحات التي وضعها كتسمية علامات الإعراب في الأسماء باسم الرفع و النصب و الخفض، و حركات المبنيات باسم الضم و الفتح و الكسر، أما سكونها فسماه الوقف، و الخليل هو الذي سمى الكسرة غير المنونة من مثل: مررت بعيد الأمير، باسم الجر، كذلك سمى السكون الواقع في أواخر أفعال المضارعة المجزومة باسم الجزم[4] إلى ذلك ذكر أن الألف و الياء و الواو في التثنية، و جمع المذكر السالم في نفس

---

[1] بغية الوعاة، السيوطي: 559/1.

[2] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل شامي:84.

[3] الكتاب، سيبويه 1/ 24، و 2/ 78، و ينظر: (و ليل فهارس)، 5/ 7 و ما بعدها.

[4] المدارس النحوية، شوقي ضيف:35

حروف الإعراب[1] كما أنه أشار إلى أن أسماء الأفعال المبنية و لا محل لها من الإعراب [2] مثل أف و آمين.

إلى جانب ذلك تناول بحوثا صرفية تعالج بنية الكلمة، و ما لحروفها من زيادة و أصالة [3] و يعد أول من وضع الميزان الصرفي للأبنية المجردة و المزيدة و لاحظ أن حروف الزيادة عشرة تجمع في كلمة (سألتمونيها).[4]

و يعود الفضل للخليل في وضع قوانين الإعلال و القلب و من الأمثلة على ذلك صيغة اسم المفعول من الفعل الأجوف مثل (مقول) و (مبيع)، فكان يرى أن واو مفعول الزائدة هي التي تحذف من الصيغة، باعتبار أن الحرف الزائد أولى بالحذف من الأصلي، و بذلك يصبح وزن الكلمة الأولى عنده (مفعل)و وزن الثانية (مفعل) في حين يرى الذين جاؤوا بعده أن عين صيغة اسم المفعول هي المحذوفة و بذلك يكون وزنها (مفول).[5]

و كان صاحب كتاب العين يحلل صيغ القلب و الإعلال تحليلا دقيقا رائعا في مثل كلمة (أشياء) التي جاءت عن العرب ممنوعة من الصرف، مع أنها جمع شيء و صيغة جمعها و هي أفعال لا تمنع من الصرف، لذلك ذهب الخليل إلى أنه حدث فيها قلب و أنها ليست على وزن أفعال، كما يتوهم بعضهم و إنما جمعها (شيئاء) على وزن فعلاء الممنوع من الصرف مثل صفراء بسبب ألف الإثنين الممدودة فالكلمة إذا إسم جامع لا جمع و حدث فيها قلب مكاني، حيث قدمت الهمزة

---

[1] المصدر نفسه، 35

[2] المغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، بيروت،دار الفكر ، ط، 407/هـ 1987م، م2 و نسخة ثانية من منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت،تح، محمد محي الدين عبد الحميد، ط5، 1966، 1388هـ، م3: 550.

[3] كتاب العين، الخليل، مطبعة الثاني، بغداد، تح عبد الله درويش، 1386هـ/1967م، م2 (الصفحات الأولى) و لاحظ أن المجردة لا تزيد على خمسة و لا تقل عن ثلاثة

[4] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل شامي : 75

[5] الخصائص، ابن جني:66/2

الأولى التي هي لام الكلمة على فائها و بذلك أصبح وزنها لفعاء لا فعلاء، و ظلت ممنوعة من الصرف.[1]

و على هذا النسق من التحليل للإعلان و القلب في ما ذكرنا كان الخليل يحلل تحليلا واسعا عبارات اللغة، كما كان يحلل أدواتها و صيغها اللفظية تحليلا جعله يلتفت فيها إلى أنه من الممكن أن يكون بعض الكلمات مستخلصة من كلمتين، ككلمة (هلم) [2] التي رأى أنها مركبة من (ها) التنبيهية، و فعل (لم) الذي يعني (لم بنا) و لكثرة الإستعمال حذفت الألف من (ها) للتخفيف لأن اللام بعدهاو إن كانت متحركة فهي في حكم الساكنة، و كأنها حذفت لاتقاء الساكنين فصارت (هلم).[3]

و بحكم حسه اللغوي المرهق الدقيق استطاع أن يفقه أسرار العربية و دقائقها في العبارات و الألفاظ فقها و يعتقد أن أحدا من معاصريه لم يبلغه و مما يصور مدى هذا الحس اللغوي الحاد ملاحظته حكاية العرب لصوت الجندب بقولهم: (صر)، و حكايتهم لصوت البازي بقولهم: (صرصر) و مما لاحظه الخليل أن العرب توهموا، في صوت الجندب استطالة و مدا، فقالوا (صر) في حين أنهم توهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا (صرصر).[4]

– تثبيت أصول نظرية العوامل:

من مظاهر تطور النحو في مرحلة النشوء و النمو تثبيت أصول نظرية العوامل على يد الخليل بن أحمد الذي مد فروعها و أحكامها أحكاما إلى أن أخذت شكلها النهائي الثابت على مر الدهور فقد أرسى قواعد تلك الأصول لنظرية العوامل مشيرا إلى أنه لابد مع كل رفع لكلمة أو نصب أو

[1] الإنصاف في مسائل الخلاف، ابن الأنباري، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دط، دت، م2، ح2، 7/2، و المدارس النحوية، شوقي ضيف: 36

[2] هي اسم فعل أمر، ينظر: الكتاب، سيبويه: 241/252،1/5، و ما بعدها.

[3] الخصائص، ابن جني: 35/3

[4] الخصائص، ابن جني:152/2

خفض أو جزم من عامل يعمل في الأسماء و الأفعال المعربة و مثلها الأسماء المبنية و من العوامل ما هو لفظي مثل المبتدأ العامل في الخبر الرفع، و الفعل العامل في الفاعل الرفع، فمن المفعولات النصب. و منها ما هو معنوي كالابتداء العامل في المبتدأ و منها ما يكون أدوات و حروف كجازم الفعل مثل (لم و إن) و أخواتهما أو ناصبة ك (أن و لن) و بابهما، و منها ما ينصب ما بعده و يرفعه كالفعل مثل (إن و أن و لكن و كأن و ليست و لعل)، يقول سيبويه: "زعم الخليل أن هذه الحروف عملت عملين: الرفع و النصب كما عملت. كان الرفع و النصب حين قلت كان أخاك زيد، إلا أنه ليست لك أن تقول "كأن أخوك عبد الله" تريد كأن أخوك عبد الله أخوك لأنها لا تتصرف تصرف الأفعال و لا يضمر فيها المرفوع كما يضمر في كان ، و من ثم فرقوا بين ليس و ما فلم يجروها مجرها و لكن قيل هي بمنزلة الأفعال فيما بعدها و ليس بأفعال".[1]

و إذا كان الخليل قد ثبت أصول: نظرية العوامل، فغلام اعتمدني تأصيله القواعد النحوية؟[2]

– علام اعتمد الخليل في تأصيله القواعد النحوية؟

إن تأصيل القواعد النحوية لدلالة واضحة على ما بلغه النحو العربي من تطور و تنام على يد الخليل، و ذلك من خلال اعتماده في هذا التأصيل على السماع من منبعين رئيسيين، أولهما النقل عن القراء للذكر الحكيم و الثاني العرب الخلص الموثوق بفصاحتهم إذ كانت الجزيرة العربية التي يقطنون بها في رحابها تمثل الينابيع الصافية للغة السليمة سئل الخليل من أين أخذت علمك هذا؟ فأجاب: "من بوادي الحجاز و نجد و تمامة" [3] لذلك يذهب بعضهم إلى التصريح بأن الخليل بن أحمد هو الذي ثبت فكرة عدم الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف لأن معظم حملته كانوا من الأعاجم غير الموثوق بفصاحتهم بسبب اللحن الدائر على ألسنتهم.[4]

[1] الكتاب السويه: 3/1، 119/34، 223/4.

[2] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل شامي: 86

[3] أنباه الرواه على أبناه النحاة، القفطي: 2/ 258.

[4] المدارس النحوية، شوقي ضيف: 47.

و نستطيع أن نعرف مدى المادة اللغوية و الشعرية التي كان يحملها في صدره برجوعنا إلى كتاب سيويه، فإن أكثر النقول فيه ترد إليه، و لا نجد سيبويه يسجل له قاعدة نحوية أو حكما نحويا إلا يروي معهما سيلا من عبارات العرب و أشعارهم ينقله عن لسانه و كأننا بايزاء منجم ضخم لا يزال يسيل بكلام العرب و أمثالهم و أبياتهم الشعرية و كل بيت و مثل و كلمة إنما يراد به أن يكون دليلا على ما استنبطه من أصول النحو و قواعده، فكل حكم نحوي و كل أصل لا يلقى و معه برهانه من كلام العرب الموثوق به و أشعارهم فالشواهد عند الخليل هي مدار القاعدة النحوية و هي إنما تستنبط من الأمثلة الكثيرة إذ لا بد لها من الاطراد على ألسنة العرب فإن جاء ما يخالف القاعدة المستنبطة المحكمة كان شاذا، و لا بأس أن يبحث له الخليل عن تأويل على نحو ما مر بنا آنفا.[1]

و ليست المسألة عنده مسألة سماع شواهد فحسب فقد جعله استقراؤه للغة العرب تستقر في نفسه سليقتهم استقرارا مكنه من ضبط القواعد النحوية و الصرفية ضبط يبهر كل من يقرأ مراجعات سيبويه له، و يكفي أن نضرب لذلك مثلين [2]، أما الأول فملاحظته أن إن شرطية إذا وليها مضارع مجزوم لم يحسن دخول لام اليمين في الجواب فلا تقال إن تأتني لأكرمنك لأن اللام تعوق إن عن العمل و قد ظهر عملها في فعل الشرط، أما إذا كان فعل الشرط التالي لها ماضيا فإن عملها لا يكون حينئذ ظاهرا فيه، و لذلك يجوز "قول لام اليمين على وجوبها فيقال إن تأتيني لأكرمنك

و يعلق الدليل على ذلك بشواهد من القرآن الكريم و الشعر، من مثل الآية: { **و إن لم تغفر لنا و ترحمنا لنكوننّ من الخاسرين**}[3] نجد أن قوله عز و جل: { **و إلا تغفر لي و ترحمني أكن من الخاسرين** } لأن إن عملت في فعل الشرط فوجب عملها في الجواب و يستدل أيضا بقول زهير:

و إن أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي و لا حرم.

[1] نفسه: 47.

[2] المدارس النحوية، شوقي ضيف: 47.

[3] الأعراف:الآية 23.

فقد توقف عملها في الجواب لأن فعل الشرط ماض [1] و المثل الثاني منع العلم من الصرف إذا كان على وزن فعلان مثلثه الفاء و النون فيه زائدة مثل: عثمان و غطفان يقول سيبويه: " و سألته عن رجل يسمى دهقان فقال إن سميته من التدهقن فهو مصروف... و إن جعلته من الدهق لم تصرفه... و سألته عن رجل يسمى مرانا فقال: أصرفه لأن المران إنما يسمى للينه فهو فُعال كما يسمى الحُمّاض لحموضته و أنما المرانة و اللين و سأله عن رجل يسمى قينانا فقال مصروف لأنه فيعال و إنما يريد أن يقول لشعره فنون كأفنان الشجر و سأله عن ديوان فقال بمنزلة قيراط لأنه من دونت و سألته عن رمان فقال لا أصرفه و أحمله على الأكثر إذ لم يكن له معنى يعرف، و سأله عن سعدان و المرجان فقال لا أشك في هذه النون زائدة لأنه ليس في الكلام مثل فعلان إلا مضعفا".[2]

و الواضح أنه يعتمد في أحكامه على محفوظاته في اللغة و هي محفوظات كانت تعينه على معرفته الدقيقة بأصول الألفاظ و اشتقاقها و استقرائه لمثيلاتها، و كأن اللغة أسلمت له قيادها لكي يحكم آراءه و يضبط ما يشاء من قواعد الصرف و النحو جميعا [3] كذلك اعتمد الخليل في تأصيله القواعد النحوية على التعليل، إذ كان يسند دائما ما يبتكره من قواعد و أحكام بالعلل الدامغة و الحجج القوية و البراهين القاطعة قال أبو بكر الزبيدي: "و استنبط من العروض و من علل النحو ما لم يستنبطه أحد".[4]

و لفت كثرة ما يورده في النحو من علل بعض معاصريه فسأله أعن العرب أخذت هذه العلل أم اخترعها من نفسك ؟ فقال: "إن العرب نطقه على سجيتها و طباعها و عرفت مواقع كلامها و قام في عقولها علله و إن لم ينقل ذلك عنها، و اعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه فإن أكن أصبحت العلة فهو الذي التمست، و إن تكن هناك علة له (أخرى) فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل دارا محكمة البناء عجيبة النظام و الأقسام و قد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر

[1] الكتاب، سيبويه: 436.
[2] نفسه، 11/2.
[3] المدارس النحوية، شوقي ضيف:48.
[4] طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي: 47.

الصادق أو البراهين الواضحة و الحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إنما فعل هذا هكذا العلة كذا و كذا...

و كان يبني القياس على الكثرة المطردة من كلام العرب مع ذكر المخالف لهذا القياس و محاولة إيجاد و تأويل له، في أغلب الأحيان فعلى سبيل المثال يرى الخليل أن القياس في عطف المعرف بالألف و اللام على المنادى المرفوع أن يكون مرفوعا لأنه لو كان هو المنادى لتقدمه (أي) نحو: يا أيها المشير و رفع معها صفة لها، لأنها مبهمة يلزمها التسيير، فصارت هي المسير بمنزلة اسم واحد كأننا قلنا يا مسير [1] و بذلك يكون القياس في مثل يا علي و المشير بالضم، و معروف أن الفعل لا يدخله التصغير و لكن جاء عند العرب في فعل التعجب "ما أميلكه" يقول سيبويه: و سأله عن قول العرب ما أميكه، فقال: "لم يكن ينبغي أن يكون في القياس لأن الفعل لا يحقر، [2] و إنما تحقر الأسماء، لأن توصف بما توصف بما يعظم و يهون، و الأفعال لا توصف فكرهوا أن تكون الأفعال كالأسماء لمخالفتها إياها في أشياء كثيرة، و لكنهم حقروا هذا اللفظ، و إنما يعنون الذي تصفه بالملح كأنك قلت مليح، شبهوه بالشيء الذي تلفظ به و أنت تعني شيئا آخر نحو قولك: يطؤهم الطريق، و صيد عليه يومان و نحو هذا كثير من الكلام و ليس شيء من الفعل و لا شيء مما سمي به الفعل يحق إلا هذا وحده".[3]

و الواضح من كل ما قدمنا أن الخليل يعد بحق واضع النحو العربي في صورته المركبة سواء من حيث عوامله و معمولاته الظاهرة و المقدرة أو من حيث ما يجري فيه من شواهد و من علل و أقيسة.[4]

- **يونس بن حبيب:**

[1] الكتاب سيبويه 189/1 و ما بعدها.
[2] أي: لا يصفر.
[3] الكتاب سيبويه 477/04، 478
[4] المدارس النحوية، شوقي ضيف: 56

إلى جانب الخليل، نشط يونس بن حبيب البصري في مدارسة النحو، في مرحلة النشوء و النمو، فارتقى بالنحو إلى مستوى عال، ذلك أنه فعل ما فعله الخليل، فقابل العرب و نقل عنهم إلى أن صار بارعا في النحو و أصبح مرجع النحويين في المشكلات التي تواجه بعض أهل العلم الذين أفادهم بآرائهم في حلقة دراسة كانت تقام في المسجد الجامع، و قد روى عنه سيبويه و أكثر و له قياس في النحو و مذاهب تفرد بها و قد سمع منه الكسائي[1] و الفراء، و كان ينتاب حلقته بالبصرة أهل العلم و الطلاب و الأدب و فصحاء الأعراب و البادية[2]

و كان يملك خبرة عجيبة في قدر على تخزين العلم و حفظه من دون الاستسلام للنسيان فقد قيل: مثل و يونس كمثل عوز ضيق الرأس لا يدخله شيء إلا بعسر فإذا دخله لم يخرج منه، يعني لا ينسى"[3] و قال ابن سلام نقلا عن غيره: "ما رأيت أبذل للعلم من يونس"[4]

و تقول بعض الروايات أنه كان يثق بنفسه، من جهة امتلاكه ناصية النحو، بدليل ما حكاه سيبويه عنه و قد استغرب حين علم أن صاحب الكتاب روى عن الخليل، تقول الرواية: "و لما مات سيبويه قيل ليونس: إن سيبويه ألف كتابا من ألف ورقة في علم الخليل، فقال: يونس: و متى سمع سيبويه من الخليل هذا كله؟ جيئوني بكتابه فلما نظر في كتابه و رأى ما حكى قال: يجب أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل فيما نظر حكاه، كما صدق فيما حكى عني [5]، و ليونس مذاهب خاصة بالنحو، منها قول سيبويه في باب (ما تقدم فيه المستثنى): "و حدثنا يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقولون: مالي إلا أبوك أحد، فيجعلون أحدا بدلا، كما قالوا: ما مررت بمثله أحد،

[1] هو علي بن حمزة بن عبد الله، أبو الحسن كان مولى بني أسد، و إمام الكوفيين في النحو و اللغة و سمي بالكسائي لأنه أحرم في كساء، و هو من أهل الكوفة و استوطن ببغداد و قد تعلم النحو على كبره و أدب ولد الرشيد و قيل إنه أخذ اللغة عن أعراب من الحطمة ينزلون بقطربل، له مؤلفات كثيرة، منها: عنصرفي النحو الحروف و معاني القرآن توفي 189هـ، بغية الوعاة، السيوطي 162/2، 164.

[2] أخبار النحويين و البصريين، السيرافي و بغية الوعاة، السيوطي365/2.

[3] طبقات النحويين، الزبيدي: 51 و مل بعدها.

[4] نفسه: 52.

[5] طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي: 52.

فجعلوه بدلا"[1] و هكذا استمر النحو يتنامى و يتطور إلى أن ظهر سيبويه، فتعزز هذا التطور و بلغ حدا لا نظير له من قبل.[2]

- **سيبويه:**

و بظهور سيبويه البصري تطور النحو تطورا يدعوا إلى الإعجاب، إذ أخذ هذا العلم عن أساتذة الخليل، و عيسى بن عمر و غيرهما، و أخذ اللغات عن أبي الخطاب الأخفش و غيره و سمع من العرب من يوثق بعربيته بعد أن رحل إلى واديب نجد و الحجاز حيث ينابيع اللغة و النحو يستمد منها مادة و عتادا فصيحا صحيحا، ثم ما لبث أن وضع كتابه المشهور و أودعه مباحث نحوية و صرفية جعلته على مثال لم يسبق إليه أحد قبله، و لم يلحق به من بعده [3]، و قد أظهر هذا الكتاب أن صاحبه كان أبزغ أصحاب الخليل في النحو، و هم النضر بن شميل و أبو فيد مؤرج العجلي، و علي بن نصر الجهضمي، و لبراعة سيبويه في النحو كان الأخفش الأكبر يطلب منه المناظرة للاستفادة منه، فيقول: "إنما ناظرتك لأستفيد لا لغيره" [4] علما بأن الأخفش كان أكبر سنا منه.[5]

لقد عد النحويون كتاب سيبويه، لشهرته و فضله عليهم، علما بارزا عندهم فقد ذكر أبو سعيد السيرافي أنه كان يقال بالبصرة "قرأ فلان الكتاب فيعلم أنه كتاب سيبويه و قرأ نصف الكتاب و يشك أنه في كتاب سيبويه"[6] و قد دفعت شهرة هذا الكتاب العجيب المبرد إلى القول[7]، لمن أراد

---

[1] الكتاب سيريه، 335، و ما بعدها.

[2] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل الشامي: 89.

[3] أخبار النحويين و البصريين، السيرافي: 48.

[4] نفسه: 48.

[5] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل شامي: 90.

[6] أخبار النحويين البصريين، السيرافي 56.

[7] هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأرزدي البصري، أبو العباس المبرد، كان إمام العربية ببغداد في عصره و صاحب نوادر و ظرافة و المبرد أي : المثبت للحق تصانيفه كثيرة أشهرها: معاني القرآن ، الكامل، المقتضب، و طبقات النحاة البصريين توفي سنة 285هـ، بغية الوعاة، السيوطي: 27

أراد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه، تعظيما له و استصعابا لما فيه: " هل ركبت البحر؟" [1] و للسبب نفسه كان المازني يقول: "من أراد أن يعمل كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه، فليستحيي .[2]"

و ليس أدل على أهمية هذا الكتاب الذي سحر النحويين و أغراهم من تصريح لأبي الطيب اللغوي سمي فيه الكتاب (قرآن النحو).[3]

إن هذه التصريحات لقدامى النحاة، إن دلت على شيء فإنما تدل على أن النحو في المرحلة الثانية من تطوره، قد بلغ أوجه من خلال كتاب سيبويه و أن ما قام به من سبقه و من خلفه لا يعد شيئا قياسا على عمله هذا العالم البارع النبيه.

حتى إن بعض المحدثين صرح بأنه كان من سوء حظ النحو العربي أن جاء سيبويه، في وقت مبكر جدا إذ نتج من براعته و تفوقه و شدة إعجاب النحاة به، و السحر و الإغراء الذين بثهما الكتاب في نفوسهم "أن أصيب التفكير النحوي بشلل، و دار الجميع في فلك سيبويه و اتخذوه أساسا لدراستهم، و لذا لم يطور و هذه الدراسة بالقدر الكافي، و تحولت معظم الدراسات النحوية إلى مجرد شروح له أو اختصارات أو تعليقات عليه، أو جمع لشواهده و شرحها".[4]

و تكمن أهمية هذا الكتاب في كونه شاملا و جامعا لكل ما نطلبه من المسائل النحوية و الصرفية، مرتبا بشكل لم يتوفر عند من سبقه و بعد وفاته أذيع بين الناس باسم (الكتاب) الذي كان له الفضل الكبير في نشر المباحث النحوية و الصرفية التي مازالت دائرة على لساننا حتى اليوم فالنحاة مازالوا يتداولونها في مؤلفاتهم و أبحاثهم لذلك يرى بعض المحدثين أن سيبويه لم يدع لمن جاء بعده إلا ما يدور حول تمييز بعض المصطلحات أو إضافة مصطلحات جديدة لغرض الدقة في

---

[1] أخبار النحويين البصريين، السيرافي: 50

[2] نفسه: 50 يقال استحا و استحيا منه، انقبض عنه و امتنع، و استحياه خجل و منه في سورة البقرة { أن لا يستحي أن يضرب مثلا}، محيط المحيط البستاني، مادة (ح ي ي)

[3] مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي: 65.

[4] البحث اللغوي عند العرب، عمر أحمد مختار: 112 و المدارس النحوية شوقي ضيف:59 و ما بعدها.

التوضيح و من ذلك أن صاحب الكتاب جعل التوكيد قسمين: أولهما مكرر و الثاني غير مكرر. و سماهما من جاء بعده (التوكيد اللفظي، و التوكيد المعنوي).[1]

و الجدير ذكره أنه لا شك في أن كتاب سيبويه يظل أساسا لعلم النحو و يبقى دستور النحاة قديما و حديثا و أن الدارسين و الباحثين لا يزالون يحلقون في فلك هذا النابغة الفذ في العربية و لكن أليست الشروحات و المختصرات و التعليقات عملا جديدا في مجال النحو [2] أو ليست النظريات البغداديين و المصريين و الشاميين و الأندلسيين الذين خلفوا سيبويه ساهموا في تطوير النحو و ازدهاره؟ و من هذا المنطلق هناك من الباحثين المحدثين من يرى أن النحو قد أصيب بركود و شلل بعد سيبويه و لو كان كتابه المشهور الميدان الذي حال فيه النحاة و أخذوا من كل علم سبب، و على الرغم من هذا فهم لا ينكرون على أن الكتاب بحر علم و صاحبه أعلم نحاة عصره فقد قال بعضهم حين نظر في هذا الكتاب: " فعلمه أبلغ من لسانه" [3]، و قال آخر: كنت عند الخليل بن أحمد، فأقبل سيبويه، فقال الخليل: مرحبا بزائر لا يمل[4]" و ذكر بعضهم أيضا أن الخليل لم يقل هذا الكلام إلا لسيبويه[5] و يشهد أبو إسحاق الزجاج[6] أنه إذا تأمل الأمثلة في الكتاب تبين له أن صاحب هذا الكتاب أعلم الناس باللغة".[7]

بالإضافة إلى ما تضمنه كتاب سيبويه مما تفرق من أقوال الخليل و يونس بن حبيب و عيسى بن عمر، و أبي عمرو بن العلاء و غيرهم من علماء النحو و الصرف، بالإضافة إلى ذلك كله، فقد

---

[1] المدارس النحوية ،شوقي ضيف : 61

[2] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل شامي: 92

[3] طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي: 67

[4] نفسه: 67

[5] نفسه: 67

[6] هو عبد الرحمان بن اسحاق أبو القاسم الزجاجي المنسوب إلى شيخه ابراهيم الزجاج صيمري الاصل نزل بغداد فبرع بالنحو من مصنفاته الجمل و اللامات، ت سنة 339هـ بغية الوعاة، السيوطي 77/02

[7] طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي: 72

ضمنه أيضا استنبطه و ابتكره بنفسه من القواعد و القوانين معتمدا على ما سمعه من العرب و الفصحاء و قد ورد في الكتاب قوله: "سمعنا العرب الفصحاء يقولون انطلقت الصيف".[1]

و قد أكثر سيبويه في كتابه من العناية بالتعريفات و العوامل و المعمولات، ففي النداء يقول: "إعلم أن النداء كل اسم مضاف فيه فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره، و المفرد رفع و هو في موضع اسم منصوب" [2] أما العوامل فهي الأساس الذي يبني عليه حديثه في مباحث النحو، فهو يتحدث عن (ما) النافية عند الحجازيين و يتناول (إن و أخواتها) في فصول كثيرة [3] و يتحدث عن تواصب الفعل المضارع و جوازمه [4]، كذلك تحدث عن المعمولات و حذفها، كحذف الخبر بعد المرفوع (لولا) نحو: لولا الحرب لازدهر لبنان، و يفهم من الكلام أن جواب لولا أغنى عن الخبر، [5] كذلك أكثر سيبويه من الأساليب التي ساعدته على تأصيل القواعد النحوية.[6]

-أساليب سيبويه في تأصيل القواعد النحوية:

اعتمد سيبويه على مجموعة من الأساليب التي ساهمت في تطوير النحو في هذه المرحلة، منها:

أ -**أسلوب التحليل**: اعتمد سيبويه في كتابه أسلوب التحليل لقواعد اللغة، إذ لا يكتفي بتسجيل تلك القواعد، بل يفكر أولا بالعبارات ثم يلاحظ و يتأمل و من ثم يبتكر و يستنبط خواصها و معانيها و دلالاتها و قد ساعده التحليل على تبيين حروف الجر الزائدة، و منها (من) الزائدة مع الاستفهام و النفي في المبتدأ نحو أهل من أحد حاضر؟ و ما من أحد حاضر.

[1] الكتاب ،سيبويه ،الطبعة القديمة: 11/1
[2] الكتاب السيبويه، الطبعة القديمة: 33/1
[3] نفسه:279/1
[4] نفسه: 388/1
[5] نفسه: 279/1
[6] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل شامي: 93

أو الفاعل نحو: ما حضر من طالب، و منها الباء الزائدة في حسبك نحو: بحسبك فعل الخير، و كأن المراد: حسبك فعل الخير[1].

و قد هدته هذه التحليلات إلى إظهار الواو في لغة (أكلوني البراغيث) أنما حرف دال على الجماعة كما أن التاء في (درست) حرف دال على التأنيث[2] و من توجيهاته الطريفة تسميته حروف الجر الإضافة لأنها تضيف معاني الأسماء إلى الأفعال، و عنده أن التنوين في جوار و في عندها من الأسماء المنقوصة في حالتي الرفع و الجر، عوض عن الياء المحذوفة.[3]

ب -**أسلوب السماع**: و يعتمد سيبويه على السماع كسلفه الخليل و من شبه فكان يسمع قرار الذكر الحكيم و علماء اللغة الموثوق بفصاحتهم و عربتهم و ينقل عنهم ما سمعه و ينعت ما كان شاذا على ألسنة العرب بالقبح أو الضعف أو الشذوذ، و قد نقل عن الخليل و يونس و الأخفش الأكبر و غيرهم، و تذهب إلى بوادي بخبر الحجاز حيث قيد شعر العرب و نثرهم و سجل الصورة الشائعة على ألسنتهم في التعبير ليعتمد عليها في تقريره قواعد النحو و قوانينه كذلك سجل ما ورد شاذا على ألسنتهم بقطع النظر عن مخالفته للقياس الذي يجب الأخذ به [4] و من ذلك نصب المضارع بعد الفاء، حتى ولو لم تكن جوابا للطلب، كالأمر و النهي و غيرها فقد عد ذلك شذذا و ضعفا بالرغم من وروده للضرورة الشعرية في قول الشاعر:

سأترك منزلي لبني تميم و ألحق بالحجاز فأستريحا

فقد قال: "و هو ضعيف في الكلام"[5]

---

[1] سيبويه الطبعة القديمة، 353/1

[2] نفسه، 23/1

[3] نفسه، 209/1، 57/2

[4] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل شامي: 93

[5] الكتاب ،سيبويه، 423/1

ت -**أسلوب التعليل**: و من الأساليب التي استعملها سيبويه في تأصيل القواعد النحوية أسلوب التعليل فقد أكثر في كتابه من التعليلات كسلفه الخليل، إذ كان يعلل الأحكام لكل قاعدة يقررها و بذلك تبين جذور التعليل في النحو و الصرف و عممها على قواعد هي و مسائلهما [1] و على سبيل المثال فهو يعلل لجزم الأسماء بقوله: "و ليس في الأسماء جزم لتمكنها و للحاق التنوين، فإذا ذهب التنوين لم تجمعوا على الاسم ذهاب و ذهاب الحركة" [2] كذلك نراه يعلل لإعراب الفعل المضارع، و تسميته اسمه بأنه يضارع أو يشابه اسم الفاعل في معناه و وقوعه موقعه. فقولنا: إن عليا ليدرس، كقولنا: إن عليا لدارس في ما نريد من المعنى. كذلك فإن لام الابتداء تدخل على الفعل المضارع و على اسم الفاعل كما لوحظ في المثلين السابقين و المعروف أن هذه اللام لا تدخل إلا علم الأسماء و لا يجوز دخولها على الأفعال الماضية لهذه الأمور و غيرها يشبه المضارع الاسم فاستحق الإعراب، و إدخال الرفع و النصب و الجزم على آخره.[3]

ث -**أسلوب القياس**: إلى جانب تمسكه بالتحليل و التعليل تمسك سيبويه بالقياس و أكثر منه باعتباره الأساس الذي يقوم عليه و صنع القواعد النحوية و الصرفية و تقريرها و اطرادها، فكان يعتمد على الشائع الاستعمال على ألسنة العرب و كان يماثل بين استعمالاتهم في الأبنية و العبارات المختلفة، فمن ذلك أنه يقيس المشتقات من اسم الفاعل و اسم المفعول و صيغ المبالغة على الفعل المضارع في العمل و يرتب على ذلك أنه يجوز في المعمولات معها من التقديم و التأخير و الإظهار و الإضمار[4] و بخصوص استعمال (ما) النافية استعمال (ليس) في رفع اسمها و نصب خبرها نحو: ما خالد شاعرا، فهو يقف عند هذا الاستعمال، ثم يعقب بلغة تميم فيها، و أنها تعملها، و في ذلك يقول : "و أما ينو تميم فيجرونها مجرى أما و هل و هو القياس لأنها ليست بفعل و ليست ما كليس و لا يكون فيها إضمار أما أهل الحجاز، فيشبهونها بليس، إذ كان معناها كمعناها"[5] و هكذا خطأ

[1] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل شامي: 94

[2] الكتاب، سيبويه ، الطبعة القديمة : 3/1

[3] الكتاب سيبويه، 3/1 الطبعة القديمة

[4] نفسه، 55/1

[5] نفسه: 57/1، 147، 314، 57- 69، 122 الطبعة الجديدة

خطأ النحو خطرات متقدمة في مرحلة النشوء و النمو و لاسيما على أيدي كل من الخليل و سيبويه لذلك أسهينا في حيثما عن نشاطهما و دورهما في تطوير هذا الفن إذ يمثلان أقوى أركان الأساسية التي قام عليها النحو.[1]

- **الأخفش الأوسط:**

أدى الأخفش دورا للنهوض بالنحو إذ كان أحذق أصحاب سيبويه و لقي من لقيه صاحب الكتاب من العلماء، و كان يمثل الطريق إلى كتابه المشهور قال أبو سعيد السيرافي: "إن كتاب سيبويه لا نعلم أحدا قرأه على سيبويه و لا قرأه عليه سيبويه و لكنه لما مات [2] قرأ الكتاب على أبي الحسن الأخفش"[3] و ذكر السيوطي أن أبا الحسن الأخفش قرأ على الكسائي كتاب سيبويه سرا، و وهب له سبعين دينارا [4] و مما يدل على حداقته بالنحو أنه سأل الكسائي عن مائة مسألة فأجاب بجوابات خطأه في جميعها، ما دفع أصحاب الكسائي إلى الوثوب عليه فمنعهم عنهم ثم قال له زعيم الكوفيين: "بالله أنت أبو الحسن سعيد بن مسعدة؟ فقلت: نعم، فقال: إلي و عانقني و أجلسني إلى جانبه، ثم قال: لي أولاد أحب أن يتأدبوا بك و يتخرجوا عليك، و تكون معي غير مرافق لي، فأجبته إلى ذلك"[5] و قال المبرد عنه: "أحفظ من أخذ عن سيبويه الأخفش" [6]و روي أيضا أنه لما دخل بغداد أتاه أحد علماء الكوفة ليسأله عن مسائل عملها و فردع فرعها فلما رأى الأخفش أن اعتماد و هذا العالم و غيره منت الكوفيين و على المسائل عمل كتاب (المسائل الكبير قال: فلم يعرفوا أكثر ما أوردته فيه"[7]و يروي أيضا أن أحد النحويين قصد ثعلبا، فدق عليه الباب، فخرج و بيده جزء من من مسائل الأخفش، فقال له: ويحك، أصاحبك هذا مجنون، و يتكلم بما لا يفهم؟ فقيل له: و أي

[1] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل شامي: 95

[2] أي سبويه

[3] أخبار النحويين، السيرافي: 86

[4] بغية الوعاة ، السيوطي: 590/1

[5] نفسه :590/1

[6] نفسه: 590/1

[7] طبقات النحويين واللغوين ، الزبيدي: 73

شيء وقفت عليه من هذا؟ فقال: في كثير المسائل فقيل له: هذا رجل أشرف على بحر فهو يتكلم بما يريد فسكت" و بفضل براعته و مهارته صنف الأخفش الكثير من المصنفات ضمنها كل ما أوتي به من علم، ليذيعه على الناس، نذكر من مؤلفاته الأوسط في النحو، معاني القرآن ، المقاييس في النحو الاستفاق و كتاب (المسائل، الكبير، الصغير).[1]

و بفعل النشاط الأخفش الأوسط يمكن القول إن النحو قطع شوطا بعيدا على طريق النمو و التطوير علما بأن النحو و أصوله و قواعده الأساسية تكونت بشكل نهائي على أيدي الخليل و تلميذه سيبويه الذين لم يتركا للأجيال التالية على ما يبدوا سوى خلافات فرعية تكثر و تقل حسب المدارس و حسب النحاة[2].

و لكن ظاهرة التطوير التي أبرزها الأخفش تمكن في عنايته بالحدود و التعريفات أكثر من عناية أستاذه سيبويه بها. فعلى سبيل المثال يكتفي سيبويه عند تعريفه الإسم بالتمثيل فقط كقوله: " و الإسم رجل و فرس و حائط"[3] في حين أن الأخفش يقول: " الاسم ما جاز فيه نفعني و ضربني " أي: ما جاز أن نخبر عنه [4]و تكمن أيضا في التعليلات، فسيبويه يعلل امتناع الفعل المضارع من الخفض بأن المجرور داخل في المضاف إليه و أنه يعاقب بالتنوين و المضارع لا ينون، لكن الأخفش يعني بهذا التعليل أكثر بالإيضاح و الشرح قائلا: "لا يدخل الأفعال الجزء لأنه لا يضاف إلى الفعل و الخفض لا يكون إلى بالإضافة و لو أضيف بالفعل، و الفعل لا يخلوا من الفاعل وجب أن يقوم الفعل و فاعله مقام التنوين لأن المضاف إليه يقوم مقام التنوين و هو زيادة في المضاف كما أن التنوين زيادة فلم تجز أن تقيم الفعل و الفاعل مقام التنوين، لأن الاسم لا يحتمل زيادتين و لم يبلغ من قلة التنوين و هو واحد أن يقوما مقامه كما لا يحتمل الاسم الألف و اللام مع التنوين".[5]

---

[1] بغية الوعاة، السيوطي 1/ 591

[2] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل شامي: 96

3 الكتاب ، سيبويه 2/1

[4] الايضاح في علل النحو، الزجاجي، تح مازن المبارك المؤسسة السعودية بمصر، د ط، 1959م : 110و ما بعدها

[5] نفسه:110

إن الآراء الجديدة التي جاء بها الأخفش في المرحلة الثانية من مخالفته لكثير من آراء سيبويه و الخليل، إلى نسخ للقياس على الأشعار الشاذة التي لا تطرد مع قوانين أستاذه وصولا إلى فسح للقراءات.[1] محتجا بها مهما خالفت القواعد النحوية القياسية عند سيبويه ، لدليل قاطع على تطور النحو و ازدهاره .و بفعل هذا النشاط الذي قام به الأخفش، يمكن القول إن النحو قطع شوطا بعيدا على طريق النمو و التقدم[2].

و هناك مشاهير آخرون من النحويين البصريين الذين ظهروا في مرحلة النشوء و النمو و ساهموا في تطوير النحو و نهوض به إلى أن وصل إلينا اليوم علما كاملا مستقلا بذاته.

المبحث الخامس: أصول النحو العربي

علم النحو العربي كأي علم من العلوم المنضبطة و المعتبرة يجب أن تكون له أصول تقوم عليها و يعتمد النحاة و الدارسون و المتكلمون عليها عند تعاملهم مع هذا العلم لذا وجب الإلمام بها و دراستها و الوقوف عليها، فهي من دعائم على النحو.

و أصول النحو العربي: هي مبادئ و تطبيقات قديمة قدم علم النحو لأن القبول و الرفض و الترجيح و ما إلى ذلك كله يرجع إلى أصول أن لم تكن مكتوبة فهي معلومة مقدرة يرجع إليها النحاة فهذه الأصول يسير عليها النحاة و من دخل في زمرتهم لذلك وجب الحديث عنها، و هي:[3]

السماع، القياس، الاستحسان، الاجماع، استصعاب الحال.

أولا: السماع

[1] من ذلك أخذ الأخفش بقراءة أبي جعفر في قوله تعالى: {ليجزي قوما بما كانوا يكسبون} مشتقا منها قاعدة جواز إقامة غير المفعول به مع وجوده نائب فاعل مخالفا بذلك أستاذه .ينظر: همع الهوامع، السيوطي: 162/1

[2] النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل شامي: 98

[3] النحو العربي عماد اللغة و الدين، عبد الله أحمد جاد كريم، مكتبة الآداب القاهرة ، ط1422،1هـ/2002م:43

يقصد بالسماع الكلام العربي الفصيح، المنقول بالنقل الصحيح عن حد القلة إلى حد الكثرة[1] و هو أقل أصل من أصول النحو العربي المبعتبرة.

و السماع يشمل كل "ما ثبت عن العرب من كلام من يوثق بفصاحتهم فشمل كلام الله تعالى و هو القرآن الكريم، و كلام نبيه صلى الله عليه و سلم و كلام العرب قبل البعثة و في زمنه و يعيده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين نظما و نثرا عن مسلم أو كافر"[2]

و لقد جمع النحاة و اللغويين هذا السماع عن طريق المنهج الذي اتبعوه من تحديد لإطار زمني و مكاني فالعرب الذين استشهد بهم ابتدأ تاريخهم من الجاهلية إلى أواخر القرن الثاني، فآخر من استشهد به سيبويه هو ابراهيم بن هرمة المتوفي سنة 150هـ، أما الذين جاؤوا بعده من محدثين و مولدين فقد تركوا لفساد لغتهم و انتقال اللغة من صيغتها الفصيحة إلى وضع العامية و هي حقيقة تؤكدها روايات تاريخية تبين أن القرن الثالث للهجرة شاعت فيه لهجات عامية ليست معربة حتى أن الإعراب في الكلام العادي صار مستقبحا [3]

يقول ثعلب:

إن شئت أن تصبح بين الورى ما بين شتام و مغتاب

فكن عبوسًا حين تلقاهم و كَلِّمِ النَّاسَ بإعْراب[4]

أما تحديد لغة السماع من ناحية المكان فقد جاء حصره في وسط الجزيرة بين صحراء السماوة و أعالي نجد تهامة و الحجاز، و بين اللغويين أسباب هذا التحديد هو الابتعاد عن لغة أطراف

[1] الاعراب في جدل الاعراب و لمع الادلة أبو البركات الانباري، تح سعيد الافغاني، دمشق ، ط الجامعة السورية ، 1377هـ/1956م: ص43

[2] الاقتراح في علم أصول النحو، السيوطي، حيدر أباد ، دار المعارف النظامية ، ط 1: 17

[3] تاريخ النحو العربي في المشرق و المغرب، محمد مختار ولد أباه ، بيروت، دار الكتب العلمية ط1417،1هـ/1996م،إيسيسكو وط2 1429هـ/2008م بيروت، لبنان 29

[4] نفسه: 29

القبائل التي خالطتها الفرس في أعلى العراق و عمان و مازجتها الروم في الشام [1] و تحاشى النحاة الأوائل الاستشهاد بالحديث، و جاء تعليل الذين تابعوهم من متأخري العلماء بأن الحديث النبوي قد رواه المحدثون بالمعنى مستدلين باختلاف الروايات في الحديث الواحد... و سوف نرى رد ابن مالك على هذا الإعتراض و سيبويه الذي دون النحو في كتابه و استمرت شواهده سارية في المصنفات لم يكن ذا معرفة بالحديث و قد يمكن أن يقال إنه بقيت في نفسه عقدة من تعلم الحديث لأنه طلبه أولا، و لحن فيه فانصرف إلى النحو و ابتعد عن الحديث.[2]

و قد قل النحاة سيبويه في عدم الاستشهاد بالحديث لأن قليلا منهم كانوا من أهله، ثم صاروا فيما بعد يبحثون عن الحجج و لعدم الاحتجاج به فادعوا أنه روي بالمعنى و أن رواية كانوا من الأعاجم و الحقيقة أن هؤلاء الرواة سواء أكانوا عربا أم موالي يحرصون حرصا شديدا على تتبع ألفاظ الحديث مخافة أن يكذبوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم لتواتر الحديث القائل (من كذب علي معتمدا فليتبوأ مقعده من النار).[3]

و لقد أوضح ابن مالك في كتابه التوضيح و التصحيح لشواهد الصحيح "توضيحا و تفسيرا لكل ما أشكل على النحاة في أحاديث صحيح البخاري، و ألحق أن هذه الأحاديث لا تحتاج إلى شواهد من أسلاف شعراء العرب لتصحيح انتمائها إلى العربية الفصحى".[4]

و اللغة النموذجية التي اعتمدها أوائل النحاة كانت أساسا سماع العرب نشرا و نظما و هي المادة التي يدرسها العلماء لبتعرفوا على بنيتها التركيبية و صور أدائها فانكبوا على عمليات استقرائية استخلصوا منها مجموعة القواعد المعروفة و بما أن هذه القواعد لا تسع جميع الصيغ المسموعة فاختلفت مذاهب العلماء في أسس التعقيد، فمنهم من اعتبر الأكثر و الأغلب و سمي ما عداه

---

[1] الاقتراح في أصول النحو، السيوطي، الطبعة الأولى 1908 :19 و المزهر، تح محمد أبو الفصل ابراهيم القاهرة1957: 128

[2] أخبار النحويين البصريين، تح د، محمد ابراهيم البنا، دار الاعتصام، ط1985،1: 59 و نزهة الالباء في طبقات الأدباء، ابن الانباري، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، نشر دار نهضة مصر الفجالة: 54

[3] متفق عليه

[4] ينظر، ابن مالك، التوضيح كله، ورد ناضر الجيش على أبي حيان نقلا عن خديجة الحديثي ينظر كتاب أبو حيان النحوي: 558

لغات لا ترقي إلى مستوى المثال الأصلي و منهم من جعل دائرة المسموع أوسع و جميعهم اعترفوا بوجود حروف شاذة و استعمالات ضرورية كما اتفقوا جميعا على مبدأ القياس على هذه القواعد.[1]

ثانيا: القياس

هو الأصل الثاني من أصول النحو العربي و القياس مصطلح و منهج كثير الورود و الذكر في علوم لغوية فقهية غير علم النحو[2]

القياس في اللغة:

القياس في اللغة بمعنى: التقدير، و هو مصدر قايست الشيء بالشيء مقايسة و قياسا: قدرته و منه المقياس، أي المقدار.[3]

القياس في الإصطلاح:

عرفه الأصليون و العلماء بقولهم : هو تقدير الفرع بحكم الأصل و قيل حمل فرع على أصل بقلة جامعة، و إجراء حكم الأصل على الفرع، و قيل إلحاق الفرع بالأصل لعلة (بجامع) و قيل: هو اعتبار شيء بالشيء لجامع ، و هذه كلها حدود متقاربة.[4]

و من المهم أن نعرف أن "عملية القياس إنما يقوم بها أولئك الذين كرسوا حياتهم لخدمة العربية، أما أصحاب اللغة الذين يحتج بكلامهم فلا يكادون يلجأون إلى القياس في حياتهم[5]، و لقد استخدم النحاة القياس و اعتمدوا عليه منذ فترة بعيدة و لكن أجمع العلماء على أن أول من علل

---

[1] تاريخ النحو العربي في المشرق و المغرب محمد مختار ولد أباه: 31

[2] النحو العربي عماد اللغة و الدين، عبد الله أحمد جاد كريم:44

[3] لسان العرب ابن منظور، طبعة دار المعارف القاهرة أساس البلاغة الزمخشري ط3 الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، نقد 1985 مادة (ق د ر): 44

[4] الاقتراح السيوطي، 45، لمع الأدلة، الأنباري: 93

[5] نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري، تح ابراهيم السمرائي، ط2، مكتبة الأندلس بغدادية1970 : 22، و طبقات النحويين و اللغويين ،الزبيدي، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، طبعة دار المعارف –القاهرة- 1984م:25

النحو و كان شديد التجديد مقياس هو عبد الله بن أبي اسحاق الخضرمي (ت 117هـ) و طبقته من النحاة و اللغويين، قال يونس بن حبيب يوما لأبي اسحاق الخضرمي هل يقول أحد الصويق (بالصاد) يعني السويق، قال الخضرمي: نعم عمرو بن تميم تقولها و ما تريد إلى هذاعليك بباب من النحو يطرد وينقاس".[1]

كما اعتمد الخليل على القياس و كان أهم أداة شاد بها صرح النحو العربي و مما يصور قوتها و دقتها عنده حواره مع تلميذه سيبويه في رفع المنادى.[2]

حيث صحح هذا القياس بأن قاس على الكثير في كلام العرب، و لكن لم يخطأ الخارجين على قياسه من قبائل العرب – كما فعل ابن اسحاق – بل كان يعده فصيحا أو يقول عنه إنه لغة، أو يحاول أن يجد له تأويلا.[3]

و جاء سيبويه فسار على نهج الخليل في القياس على الكثير، و رصد ما يخالفه من كلام العرب و لكنه اتبع في القياس، لأنه الأساس الذي يقوم عليه وضع القواعد النحوية و الصرفية و اطرادها، و هو يعتمد في أكثر الأمر على الشائع في الاستعمال على ألسنة العرب و على المشابهة بين استعمالاتهم في البيئة و العبارات المختلفة ثم اكتملت فكرة القياس النحوي على أيدي النحاة الذين جاؤوا بعد سيبويه، حتى وجدنا من النحاة من يولي القياس اهتماما كبيرا في النحو العربي.[4]

لذلك يقول أبو علي الفارسي: "مسألة واحدة من القياس أنبل و أنبه عند بعضهم من كتاب في اللغة في عيون الثاني" [5]و بلغ الأمر ببعضهم أن جعلوا النحو كله قياس، و عرفوا النحو كأنه"بأنه العلم المستنبط من استقراء مقاييس العرب"[1] و عن ذلك يقول الكسائي (ت189هـ).

---

[1] طبقات فحول االشعراء ،ابن سلام الجمحي، شرح و تحقيق محمود محمد شاعر، القاهرة، دار المعارف، 1952 :15

[2] عن تاريخ النحو العربي دراسة و نصوص ، حلمي خليل، اسكندرية، دار المعرفة الجامعية: 41

[3] المدارس النحوية، شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، سنة 1987م: 53

[4] النحو العربي عماد اللغة و الدين، عبد الله أحمد جاد كريم: 45

[5] الخصائص، ابن جني، تح محمد علي نجار – القاهرة ، طبعة دار الكتب المصرية ، 1371هـ 1952م :88/2

إِنَّمَا النَّحْوُ قِيَاسٌ يُتَّبَعُ وَ بِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُنْتَفَعُ[2]

و يتكون القياس النحوي – و غيره – حسب التعريفات السابقة من أربعة أركان:[3]

1 المقيس عليه: و هو الأصل.

2 مقيس: و هو الفرع.

3 علة: و هو وجه الشبه المقيس و المقيس عليه.

4 الحكم الذي ينتقل عن طريق القياس من الأصل (المقيس عليه) إلى الفرع (المقيس)و أما عن أنواع القياس النحوي فهي ثلاثة:[4]

1. قياس علة

2. قياس طرد

3. قياس شبه

و هناك من يرى أن القياس به أربعة أقسام هي:

1 حمل فرع على أصل كإعلال الجمع لاعلال المفرد نحو: (قيمة–قيم)

2 حمل نظير على نظير، كمنعهم (أفعل التفضيل) من رفع الظاهر لشب هه بـ (أفعل التعجب) و أجازوا تصغير أفعل التعجب حملا اسم التفضيل.

3 حمل ضد على ضد كالنصب(بلم)حملا على الجزم بلن.

4 حمل أصل على فرع كإعلان المصدر لإعلال فعله (قام – قياما).

و بعد... فالنحو علة قياس دلا داعي للإطالة، فقد وضح العلماء الكثير عن هذا الأصل.

---

[1] الاقتراح ،السيوطي: 45

[2] لمع الأدلة، ابن الأنباري 95

[3] النحو العربي عماد اللغة و الدين، عبد الله أحمد جاد كريم: 46

[4] نفسه:46

ثالثا: الاجتماع

الاجتماع من الأصول النحوية و يعني في عرف النحاة نوعين:

أولها: إجماع العرب: و عنه يقول السيوطي: "إجماع العرب أيضا حجة، و لكن أنَّى لنا الوقوف عليه و من صوره أن يتكلم العربي بشيء و يبلغهم فيسكنون عليه".[1]

ثانيهما: إجماع نحاة البلدين: البصرة و الكوفة[2] و هو حجة إذا لم يخالف السماع أو القياس الذي هو من وضع النحاة و يلجأ النحاة و العلماء إلى هذا الأصل إذا تباينت الأراء فما وجدنا العرب متقنين عليه أخذناه، فإن لم نجد نظرنا فيما اتفق عليه نحاة البلدين فالإجماع لابد من الأخذ به و على ذلك يقول ابن الأثير: " لابد من الأخذ بأقوالهما في الأوضاع النحوية في رفع الفاعل و نصب المفعول و جر المضاف إليه و جزم الشرط...و أشباه ذلك".[3]

و أما عن إجماع العلماء فيقول ابن الأثير: "في اللغة من هذا الشيء كثيرا و هو بالإجماع من علماء العربية أنه لم تجر فيه خلاف".[4]

رابعا: الاستحسان

الاستحسان في اللغة:[5]

[1] الاقتراح، السيوطي: 89-90

[2] الخصائص، ابن جني 198/1، والاقتراح، السيوطي: 78

[3] المثل السائر في أدب الكتاب و الشاعر ،ابن الأثير، تح بدوي طبانة و أحمد الكوفي، نهضة مصر: 52/1

[4] نفسه52/1

[5] القاموس المحيط، فيروز أبادي، القاهرة، 1933م و المعجم الوسيط: طبعة المجمع اللغوي بالقاهرة، مادة (حسن):53

استحسن الشيء: عدَّه حَسَنا، تقول: استحسنت هذا الشيء إذا رأيته من الأمور الحسنة، و عكسه: الاستقباح، أو هو طلب الأحسن للإتباع الذي هو مأمور به كما في قوله تعالى: { **فبشّر عبادي الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه** }.[1]

الاستحسان في الاصطلاح:

قالوا عنه "ترك قياس الأصول لدليل"[2] و هو كذلك "الاعتماد عند ترجيح حكم على حكم على الإتّباع و التصرف حدث علة قوية [3] و لذلك وجه بعض العلماء النقد لهذا الأصل لدرجة أن الأمر وصل ببعضهم أن ينكروا أن يكون الاستحسان من أصول النحو العربي و الذي جعلهم يختلفون حوله هو أن الاستحسان طابعا بسبه اعتباطي، جعل النحاة يعدونه في الأدلة الضعيفة و مع ذلك يعتمد النحاة على هذا الدليل فيما يخالف أصولهم مما روى عن العرب".[4]

و الاستحسان نوعان: [5] استحسان العرب و استحسان النحاة، فأما استحسان العرب فيقول عنه ابن الأثير: "ينبغي أن تعلم أن الذي نستحسنه نحن في زمننا هذا هو الذي كان عند العرب مستحسنا، و الذي نستقبحه هو الذي كان عندهم مستقبحا" [6] و لقد عرض النحاة لهذا الأصل و عقدوا له فصولا في كتبهم، و سبقهم إلى ذلك ابن جني (ت 392هـ) حيث عرف الاستحسان و ذكر الأمثلة النحوية و الصرفية الدالة عليه و المنسوبة إليه، و لقد اختلف النحاة حول الأخذ بالإستحسان –كما ذكرنا– فمنهم من رفضه، لا يستند على سند قوي، لذا فهو من الأدلة الضعيفة و اعتمدوا عليه فقط فيما خالف أصولهم مما روي عن العرب.[7]

---

[1] سورة الزمر: الآية 18

[2] لمع الأدلة، ابن الانباري :133 ، و الاقتراح ، السيوطي:91

[3] ماجيستير لأحمد عطية المحمودي، الاتساع في الدراسات النحوية، القاهرة ، دار العلوم،1989 :97

[4] نفسه:97

[5] الكتاب، سيبويه، تح عبد السلام هارون، طبعة دار الجليل، بيروت "بدون"، 69،124/2 و 549/3

[6] المثل السائر، ابن الأثير 171/1، و ينظر: لمع الأدلة، ابن الأنباري: 134

[7] الأصول، تمام حسان، لقاهرة ، طبعة الهيئة العامة المصرية للكتاب، ا، 1982م:205

و للاستحسان دواعي كثيرة منها المجانسة و المشاكلة أو الخفة الصوتية، مثل: هنيهة بدلا من هنية، و منها الخروج عن القاعدة و التنبيه على الأصل كما في "استحوذ" و منها محاولة أمن اللبس كقولهم في الفتوى و الشروق للتفريق بين الصفة و الإسم و منه ما ذكره السيوطي من مخالفة الأولى كما في ترك الأخف للأثقل مثل: "و لا تسأل الأقوام عقد المياثق" و هو بقاء الحكم فيه مع زوال علته فـ(مياثق) جمع ميثاق، فإن الشائع (مواثق) فأبقى مع زوال علة القلب، و هي الكسرة، ولكن أبقى القلب لضرب من الاستحسان.[1]

و من دواعي الاستحسان أيضا المشابهة: كما في اقتران اسم الفاعل بنون التوكيد لمشابهة الفعل[2] و منه المجاورة التي خالفوا بها القواعد النحوية، مثل قولهم: "هَذا جُحْرُ ضَب خَرِبْ".[3]

و من الامثلة الاخذ بالاستحسان ترك قياس الاصول من الكلام على مذهب من ذهب إلى أن رفع الفعل المضارع لسلامة من العوامل الناصبة و الجازمة، و كذلك أيضا مذهب من ذهب أي أنه ارتفع بالزائد في أوله، فإنه أيضا مخالف للأصول، لأن الخلو من العوامل عدم، و الأصل أن العدم لا يعمل و كذلك حرف المضارعة زائد أمام الفعل و هو بمثابة الجزء منه، و الجزء لا يعمل في الكل.[4]

و يلخص الدكتور تمام حسان أسباب اللجوء إلى الاستحسان كأصل من أصول النحو قائلا: "ويمكن أن يرتد إلى الاستحسان المشاكلة أو المناسبة اللفظية أو الجوار أو نحو ذلك و تفضيله على الاستصحاب".[5]

---

[1] الاقتراح، السيوطي:72

[2] الخصائص، ابن جني 37/1

[3] النحو العربي عماد اللغة و الدين، عبد الله أحمد جاد كريم: 55

[4] نفسه:55

[5] ينظر: الاصول، تمام حسان: 204،205

خامسا: استصحاب الحال

هو الأصل الخامس من أصول النحو و هو أضعف الأدلة و عنه يقول ابن الأنباري[1]: "اعلم أن استصحاب الحال من الأدلة المعتبرة و المراد به استصحاب حال الأصل في الأسماء و هو الإعراب و استصحاب حال الأصل في الأفعال و هو البناء، حتى يوجد في الأسماء ما يوجب البناء و يوجد في الأفعال ما يوجب الإعراب، و ما يوجب البناء في الأسماء هو شبه الحرف أو تضمن معنى الحرف، فشبه الحرف في نحو (الذي) و تضمنت معنى الحرف في نحو (كيف)، و ما يوجب الإعراب من الأفعال هو مضارعة الإسم في نحو (يذهب، الكتب، يركب) و ما أشبه ذلك.[2]

و استصحاب الحال هو من أضعف الأدلة و لهذا لا يجوز التمسك به إذا وجد هناك دليل آخر.[3]

و هناك بعض الأصول الفرعية و التوجيهات اعتمد عليها النحاة و جعلوها قواعد يعتمد عليها، و من نماذج هذه القواعد التوجيهية ما يلي باختصار.[4]

"من تمسك بالأصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل"، "لا حذف إلا بدليل" و هذا من قواعد الاستدلال.

و من قواعد السماع: من حفظ حجة على من لم يحفظ القليل لا يعتد به.

و من قواعد القياس: ما لا نظير له في كلامهم فلا يصح في القياس، يجري الشيء مجرى الشيء إذا شابهه من وجهين.

---

[1] لمع الأدلة، ابن الأنباري: 141

[2] النحو العربي عماد اللغة و الدين، عبد الله أحمد جاد كريم:56

[3] نفسه:56

[4] ينظر الأصول، تمام حسان، 212-230 و نها نسبة هذه القواعد و الأصول إلى مواضعها من كتب الأصول

و من قواعد الأصل و الفرع قولهم: الفروع تنحط دائما عن الأصول، الفرع لابد أن يكون فيه الأصل و من قواعد الحمل قولهم: الحمل على المعنى الكثير في كلامهم، الحمل على اللفظ و المعنى أولى من الحمل على المعنى دون اللفظ.

و من قواعد المعنى قولهم: الأصل في الكلام أن يوضع لفائدة من.... و هناك العديد من القواعد .

و بعد فالأصول النحوية و قواعد التوجيه مبثوثة في ثنايا المؤلفات النحوية و احتوتها الكتب التي درست أصول النحو، و من أهم هذه المؤلفات في هذا الميدان:

"الكافي في أصول النحو" لأبي جعفر النحاس(ت 338هـ) و الكتب الآتية من تأليف ابن الأنباري (ت577هـ)، الاغراب في جدل الإعراب، لمع الأدلة، أسرار العربية، الإنصاف في مسائل الخلاف، و من كتب أصول النحو العربي أيضا: الإقتراح في علم أصول النحو للسيوطي(ت911هـ).[1]

[1] النحو العربي عماد اللغة و الدين، عبد الله أحمد جاد كريم: 56،57

الخاتمة

بعد الحمد الله و الصلاة و السلام على سيدنا محمد حير الأنام صلى الله عليه و سلم فقد تعرضنا في بحثنا هذا إلى تطور النحو العربي في القرن الأول و الثاني للهجرة و كما رأينا سابقا فقد قسمنا بحثنا هذا إلى فصلين،فجاء الفصل الأول بعنوان "نشأة النحو العربي"، و الفصل الثا ني "تطور النحو العربي في القرنين الأول و الثاني للهجرة".

و من أهم النتائج التي توصلنا إليها ما يلي:

- أن النحو العربي كان قائما منذ العصر الجاهلي ذلك أن العرب كانوا يستحدثون على سليقة جبلوا عليها، و شأنه في ذلك شأن أي علم من العلوم لا يتحقق إلا بعد أن يمر بمحاولات و جهود شاقة مضنية يبذلها علماء العربية للوصول به إلى ما هو عليه اليوم من قواعد و ضوابط تحكمه.

- الباعث الديني هو أحد الأسباب الرئيسة في وضع علم النحو ذلك أن القرآن الكريم هو دستور المسلمين فيه قانون حياتهم و به تنتظم عقيدتهم و هو أصل المعارف كلها و هو الذي { **لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِن بينِ يَديهِ وَ لاَ منْ خَلْفِهِ** } [فصلت:42]، فحرص العلماء المسلمون كل الحرص على الاهتمام بهذا الكتاب الحكيم و حمايته و العناية به فهو مصدر النجاح و الفلاح في الدنيا و الآخرة، و لكن هذا لا يمنع من وجود بواعث أخرى لا تقل أهمية عنه أغفلها الدارسون، ورد ذكرها في الصفحات الأولى.

- علم النحو هو علم من أصل عربي محض، و طابع عربي ابتكروه لحاجة ماسة إليه.

- نشأ النحو العربي وليدا لم تكتمل قواه، ثم نما و تطور عبر الزمن، بفضل جهود مجموعة من النحاة الذين كرسوا حياتهم خدمة لهذا العلم فوضعوا المؤلفات و المصنفات.

و في الأخير نرجوا من الله تعالى أن يوفقنا لما يحبه و يرضاه و أن يجعل عملنا هذا في ميزان حسناتنا.

قائمة المصادر و المراجع

1-المصادر:

1-أخبار النحويين البصريين، السيرافي، عني بنشره و تهذيبه فرنيس كرنكو، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1353 هـ/ 1939 م، و ط دار الاعتصام، ط 1، 1985، تح محمد ابراهيم البنا.

2-الأضداد، الأنباري، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، الكويت، دائرة المطبوعات و النشر،1300 هـ/1960 م.

3-الأعلام، الزركلي، بيروت، دار العلم للملايين، ط3، 1409 هـ/1989 م، و ط4، 1979 م.

4-أنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، تح أبو الفضل ابراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، 1950 م.

5-الأسماء و اللغات، الشيخ منير الدمشقي، القاهرة.

6-أساس البلاغة، الزمخشري، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط3،1985 م.

7-الإيضاح في علل النحو، الزجاجي، تح مازن المبارك، بيروت، دار النفاش، ط 3،1979 م، و طبعة القاهرة، 1378 هـ/1959 م.

8-إيضاح الوقف و الابتداء في كتاب الله عز و جل، ابن الأنباري، تح محي الدين عبد الحميد رمضان، ديمشق،1390 هـ،1971 م.

9-الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، القاهرة، دط، دت.

10-إرشاد الأريب، ياقوت الحموي، دار المأمون، 1938م.

11-الاستعاب، ابن عبد البر، تح، علي محمد البجاوي، مصر، مطبعة النهضة.

12-الإعراب في جدل الإعراب و لمع الأدلة، أبو البركات الأنباري، تح سعيد الأفغاني، ديمشق، ط الجامعة السورية، 1377 هـ/1956 م.

13-الاقتراح في علم أصول النحو، السيوطي، حيدر أباد، دار المعارف النظامية، ط1.

14-بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، السيوطي، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية، و طبعة دار الفكر، ط2 1399هـ/1979 م.

15-ابن خليكان، مصر، المطبعة الميمنية، 1310 هـ.

16-التعريفات، الجرجاني، وضع حواشيه و فهارسه محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1421 هـ/2000 م.

17-التحفة البهية و الطرفة الشهية، السيوطي، القسطنطينية، مطبعة الجوائب، 1302 هـ/1882 م.

18-تهذيب التهذيب، ابن حجر، حيدر أباد، مطبعة دار المعارف، 1325 هـ.

19-تفسير القرطبي، طبع دار الكتب المصرية.

20-تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، القاهرة، نشرة الخانجي، 1349 هـ.

21-جمهرة أشعار العرب في الجاهلية و الإسلام، القرشي، تح محمد علي البجاوي، القاهرة، ط1،1387 هـ، 1967 م.

22-جمع الهوامع و شرح جمع الجوامع، السيوطي، بيروت، دار المعرفة للطباعة و النشر، ط1.

23-الخصائص، ابن جني، تح محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة و النشر، ط 2، و طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1371 هـ/1952 م.

24-خلاصة تهذيب العمال، الخزرجي، مصر، المطبعة الرحمانية، 1322 هـ.

25-خزانة الأدب، الخطيب البغدادي، بولاق، 1299 هـ.

26-دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، 1977 م، و بيروت دار المعرفة، 1987، تح محمد شاكر، و طبعة خانجي، القاهرة، 1984 م.

27-الدرر الكامنة، إبن حجر، حيدر أباد، 1348 هـ.

28-رغبة الآمل، المرصفي، (ت 1349 هـ).

29-شرح الأشموني، الأشموني، بيروت، دار الكتاب العربي، دط، 1378 هـ/1955 م.

30-شرح ديوان إمرئ القيس، حسن السندوبي، القاهرة، ط4، 1378 هـ،1959 م.

31-شرح قصائد السبع الطوال الجاهليات، إبن الأنباري، تح عبد السلام هارون، مصر، دار المعارف، ط2، 1389هـ/1969م.

32-الشواذ، ابن خلويه، المطبعة الرحمانية، 1924 م.

33-شذرات الذهب، ابن عماد الحنبلي، نشره القدسي بمصر.

34-الصاحبي في فقه اللغة و سنن العربية في كلامها، أحمد بن فارس، تح مصطفى الشوملي، بيروت، مؤسسة بدران للطباعة و النشر، د ط، 1963.

35-طبقات النحويين و اللغويين، الزبيدي، تح أبو الفضل ابراهيم، مصر، دار المعارف، 1392 هـ/1973 م و طبعة 1975 م.

36-طبقات الشعراء، ابن سلام، تح محمد شاكر، مصر، دار المعارف، 1952.

37-طبقات القراء، ابن الزجري، نشرة ج، براجستراسر، مطبعة السعادة، 1352 هـ.

38-عيون الأخبار، ابن قتيبة، القاهرة، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دط، 1963.

39-الفهرست، النديم، تح رضا –تجدد، طهران، 1971 م.

40-فقه اللغة و سر العربية، الثعالبي، تح مصطفى السقاه، ط2، 1954م.

41-القاموس المحيط، الفيروز أبادي، بيروت، مكتبة التربية، ط 1952 م، و طبعة القاهرة، 1933 م.

42-الكتاب، سيبويه، شرح و تح عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1977 م، و الطبعة القديمة.

43-كتاب العبر، إبن خلدون، دار الكتاب اللبناني، ط3، 1967 م.

44 -الكامل، المبرد (ت 285 هـ).

45-كنز العمال، المتقي الهندي، ط دار المعارف النظامية بالهند.

46- لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار صادر، ط 4،2005 م، و طبعة دار المعارف، القاهرة.

47-اللؤلؤة في علم العربية، يوسف السرمدي، تح أمين عبد الله سالم، القاهرة، مطبعة الأمانة، 1992 م.

48-مقدمة، ابن خلدون، تح علي عبد الواحد الراني، القاهرة، دار الشعب، ط1، 1962.

49-المقرب، ابن عصفور، بغداد، طبعة العاني.

50-مجالس ثعلب، تح عبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف،1369 هـ.

51-المغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، بيروت، دار الفكر، 1400 هـ/1979 م، و النسخة الثانية، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، تح محمد محي الدين عبد الحميد،1407 هـ/1987 م.

52-مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي، مخطوط بالخزانة التيمورية رقم 1025.

53-المزهر في علوم اللغة و أنواعها، السيوطي، دار إحياء الكتب العربية، ط3 .

54-معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تح عبد السلام هارون، مكتب الأعلام الإسلامي، دط، 1404 هـ/1983 م.

55-المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، ابن الأثير تح بدوي طبانة و أحمد الكوفي، نهضة مصر.

56-نزهة الألباء في طبقات الأدباء، الأنباري، تح ابراهيم السمرائي، بغداد، مكتبة الأندلس، ط2، 1970 م، و طبعة دار النهضة، مصر الفجالة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم.

2- المراجع:

57-الأصول، تمام حسان، القاهرة، ط الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1982 م.

58-أبو الأسود الدؤلي و نشأة النحو العربي، الدجني فتحي عبد الفتاح، وكالة المطبوعات، 1974 م.

59-الاتساع في الدراسات النحوية، ماجستير أحمد عطية المحمودي، القاهرة، دار العلوم، 1989 م.

60-البحث اللغوي عند العرب، عمر أحمد مختار، القاهرة، عالم الكتب، ط4،1982.

61-التطور و التجديد، شوقي ضيف، مصر، دار المعارف، ط2، 1968.

62-تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة، دط، 1983 م.

63-تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، القاهرة، ط25.

64-تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله إلى العربية عبد الحليم نجار، دار المعارف، ط4، 1919.

65-تاريخ النحو العربي في المشرق و المغرب، محمد مختار ولد أباه، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1،1417هـ/1969 م، إيسيسكو و ط2، 1429 هـ/2008 م، بيروت، لبنان.

66-دراسات في اللغة و النحو، حسن عون، الإسكندرية، ط1،1952.

67-دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريدي وجدي، بيروت لبنان، دار المعرفة، ط 3، دت.

68- ضحى الإسلام، أحمد أمين، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1961.

69-عن تاريخ النحو العربي دراسة و نصوص، حلمي خليل، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

70-علم اللغة، السعران محمد، القاهرة، دار المعارف، 1962م.

71-فجر الإسلام، أحمد أمين، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1911.

72-اللغة و النحو بين القديم و الحديث، عباس حسن، مصر، دار المعارف، دط، د ت.

73-المصطلح النحوي، نشأته و تطوره من أواخر القرن الثالث هجري، عوض محمد القوزي ،الجزائر،ديوان المطبوعات الجامعية،ط1،1401ه/1981م.

74-المدارس النحوية ،شوقي ضيف،مصر،دار المعارف،ط2.

75-مباحث في علوم القران،صبيحي الصالح،بيروت،دار العلم للملايين،ط8،1974م.

76-المعجم الوسيط،طبعة المجمع اللغوي بالقاهرة.

77-مدارس نحوية و لغوية عربية و غربية،صبري ابراهيم السيد،مكتبة الاداب ،القاهرة ،ط1،1432ه/2011م /1432 هـ.

78-النحو العربي و مناهج التأليف، عوض الشعبان، منشورات جامعية قار يونس، ليبيا، 1929 م.

79-النحو و كتب التفسير، رفيدة ابراهيم عبد الله، دار الجماهيرية للنشر، ط 3، 1399 هـ/1980 م.

80-النحو العربي و مناهج التأليف و التحليل، محمد عوض العبيدي، ليبيا، منشورات جامعية، قار يونس، دط، 1989 م.

81-نشأة النحو العربي في مدرستي البصرة و الكوفة، طلال علامة، بيروت، دار الفكر اللبناني، ط1،1992.

82-النحو العربي قضاياه و مراحل تطوره، أحمد جميل شامي، دار الحضارة و مؤسسة عز الدين للطباعة و النشر،1418 هـ/1997 م.

83-الوسيط في تاريخ النحو العربي، الأسد عبد الكريم محمد، الرياض، دار الشواف، ط1،1413 هـ، 1992 م.

3- الدوريات

84-مجلة اخر ساعة،طه حسين،عدد1622،تاريخ1967/10/14م.

85--مجلة كلية الاداب،مصطفى ابراهيم،جامعة القاهرة،1948م.

ملخص:

يعتبر النحو العربي أحد أهم المرتكزات، التي تقوم عليها علوم اللغة العربية، و شأنه شأن أي علم، مر بمجموعة من التطورات و التغيرات، فبعد أن كان مجرد كلام يقوم على السليقة في القرن الأول هجري، أصبح مع بداية القرن الثاني علما مستقلا بذاته، بفضل مجموعة من النحاة العرب.

الكلمات المفتاحية: النحو، التطور

Résumé:

La grammaire arabe est considéré comme étant la base sur la quelle repose les sciences arabe. Au même titre que toutes les sciences, la grammaire arabe est passée par divers transformation. Après avoir été une langue initiale au première siècle de l'Hégire, la grammaire arabe a accédé au statut d'une science autonome grâce aux efflores de grammarieurs arabes.

Mot clé : Grammaire, dévalement

Sommary :

The arabic grammar is considered as the basis of all other Arabic sciences and all sciences as well.

As all sciences, grammar has passed (known) throught many transformations. After being a language in the century of (Hidjra), the Arabic Grammar became an autonomous science thanks to the efforts of linguists.

Key word : the grammar, the dévlepment.